الإظهار في مقام الإضمار وأسراره

(دراسة نظرية تطبيقية على سورة الأنفال)

إعداد

د / أحمد إمام عبد العزيز عبيد

مدرس التفسير وعلوم القرآن

كلية أصول الدين بطنطا

جامعة الأزهر

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أمّا بعد

فإن هذا هو رابع بحث أَشْرف بتقديمه؛ ليُنشر في حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ – جامعة الأزهر.

أهمية الموضوع وسبب اختياره

تبرز أهمية هذا الموضوع؛ من جهة تعلقه بأسلوب بديع تكلم عنه علماء البلاغة، وهو الإظهار في مقام الإضمار، واستعمله القرآن الكريم، فهو فن جميل يُكسب الكلام رونقًا وبهاءً، ونص عليه بعض المفسرين عندما تناولوا آيات القرآن الكريم بالتفسير والبيان، فهو مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، ولذلك استخرت الله – عز وجل – ثم استعنت به – تعالى – وعزمت على الكتابة في هذا الموضوع.

الدراسات السابقة

١ – الإظهار في مقام الإضمار في تفسير التحرير والتنوير من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة آل عمران، رسالة ماجستير للباحث/ إدريس محمد أبكر محمد بجامعة المدينة العالمية بماليزيا.

٢ – الإظهار في مقام الإصمار في سورة التوبة، بحث مسجل لنيل درجة الماجستير للباحث/ صلاح فاروق بكلية الآداب جامعة طنطا.

منهج البحث

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي؛ حيث قمت بتتبع مواضع الإظهار في مقام الإضمار في سورة الأنفال، ودراستها، وتحليلها، وبيان السر وراء ذلك، كما سبقت ذلك بدراسة نظرية بينت فيها: تعريف الإظهار والإضمار، ثم حقيقة الخروج عن مقتضى الظاهر أنواعه، وأسبابه، ثم الإظهار في مقام الإضمار وأسبابه، ثم الإضمار في مقام الإظهار وأسبابه.

هيكل البحث

قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وفصلين، وخاتمة:

أما المقدمة فقد تناولت الحديث فيها عن: سبب اختيار البحث، ومنهجه، وهيكله.

وأما الفصل الأول فقد خصصته للدراسة النظرية، **وقد قسمته إلى أربعة مباحث:**

المبحث الأول: تعريف الإظهار والإضمار في اللغة.

المبحث الثاني: الخروج عن مقتضى الظاهر أنواعه، وأسبابه.

المبحث الثالث: الإظهار في مقام الإضمار، وأسبابه.

المبحث الرابع: الإضمار في مقام الإظهار، وأسبابه.

وأما الفصل الثاني فقد خصصته للدراسة التطبيقية، **وقد قسمته إلى خمسة مباحث:**

المبحث الأول: بين يدي سورة الأنفال.

المبحث الثاني: مواضع الإظهار في مقام الإضمار في الربع الأول من سورة الأنفال، وبيان السر فيها.

المبحث الثالث: مواضع الإظهار في مقام الإضمار في الربع الثاني من سورة الأنفال، وبيان السر فيها.

المبحث الرابع: مواضع الإظهار في مقام الإضمار في الربع الثالث من سورة الأنفال، وبيان السر فيها.

المبحث الخامس: مواضع الإظهار في مقام الإضمار في الربع الخامس من سورة الأنفال، وبيان السر فيها.

وأما الخاتمة فقد تناولت فيها الحديث عن **أهم نتائج البحث، والاقتراحات.**

ثم ذيّلت البحث **بفهرس للمصادر والمراجع**، رتبته أبجدياً، ذاكرًا اسم الكتاب أولًا، ثم المؤلف، ثم المحقق إن وجد، ثم دار النشر، ثم رقم الطبعة وتاريخها.

ثم آخرًا فهرس الموضوعات.

والله أسأل أن أكون قد وفقت في هذا البحث، وأن يهديني لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، إنه ولىُّ ذلك والقادر عليه، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفصل الأول: الدراسة النظرية

ويحتوي على أربعة مباحث :

المبحث الأول: تعريف الإظهار والإضمار في اللغة.

المبحث الثاني: الخروج عن مقتضى الظاهر أنواعه، وأسبابه.

المبحث الثالث: الإظهار في مقام الإضمار، وأسبابه.

المبحث الرابع: الإضمار في مقام الإظهار، وأسبابه.

□

المبحث الأول: تعريف الإظهار والإضمار في اللغة

أولًا: تعريف الإظهار في اللغة:

تعددت أقوال علماء اللغة في معناه، **يقول الإمام محمد بن أبي بكر الرازي:** "الظهر ضد البطن، وهو أيضا الركاب، وهو أيضا طريق البر، ويقال: هو نازل بين ظهريهم بفتح الراء وظهرانيهم بفتح النون، ولا تقل ظهرانيهم بكسر النون، والظهر بالضم بعد الزوال، ومنه صلاة الظهر، والظهيرة الهاجرة، والظهير المعين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحريم: ٤) ... والظهري الذي تجعله بظهرك أي تنساه، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (هود: ٩٢)، و الظاهر ضد الباطن، وظهر الشيء تبين، وظهر على فلان غلبه، وبابهما خضع، وأظهره الله على عدوه، وأظهر الشيء بينه، وأظهر سار في وقت الظهر" [(١)].

ويقول الإمام ابن منظور: "ظهر الشيء، بالفتح، ظهورا: تبين. و أظهرت الشيء: بينته. والظهور: بدو الشيء الخفي. يقال: أظهرني الله على ما سرق مني أي أطلعني عليه. ويقال: فلان لا يظهر عليه أحد أي لا يسلم عليه أحد. وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾ (الكهف: ٢٠) أي يطلعوا ويعثروا. يقال: ظهرت على الأمر. وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (الروم: ٧)، أي ما يتصرفون من معاشهم" [(٢)].

---

(١) مختار الصحاح – مادة ظهر – ج١ صد ١٧١.

(٢) لسان العرب – مادة ظهر – ج٤ صد ٥٢٧.

ويقول الإمام الزّبيدي: "(وظَهَرَ) الشيْءُ (ظُهُوراً)، بالضّمّ: (تَبَيَّنَ)، والظُّهُورُ: بُدُوُّ الشيْءِ المَخْفِيّ، فهو ظَهِيرٌ وظاهِرٌ ... ويُرْوَى: (طَهِير) بالطّاءِ المهملة، وقد تقدّم (١). (وقد أَظْهَرْتُه)، أَنا، أَي بَيَّنْتُه. ويقال: أَظْهَرَنِي اللَّهُ على ما سُرِقَ مِنّي، أَي أَطْلَعَنِي عليه. (و) ظَهَرَ (عليَّ: أَعانَنِي)، قاله ثعلبٌ. (و) ظَهَرَ (بِهِ وعَلَيْهِ)، يَظْهَر: (غَلَبَه) وقَوِيَ، وفُلانٌ ظاهِرٌ على فُلانٍ، أَي غالِبٌ، وظَهَرْتُ على الرَّجُل: غَلَبْتُه، وقوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ (الصفّ: ١٤)، أَي غالِبِين عالِينَ، من قَوْلك: ظَهَرْتُ على فُلانٍ، أَي عَلَوْتُه وغَلَبْتُهُ. وهذا أَمْرٌ أَنتَ بهِ ظاهِرٌ، أَي أَنتَ قَوِيٌّ عليه. وهذا أَمْرٌ ظاهِرٌ بِكَ، غالِبٌ عليك. وقيل: الظُّهُور: الظَّفَرُ بالشيْءِ، والاطّلاعُ عليه. وقال ابن سيده: ظَهَرَ عليهِ يَظْهَرُ ظُهُوراً، وأَظْهَرَه اللَّهُ عَلَيْه" (٢).

ويقول الإمام ابن فارس: "(ظهر) الظاء والهاء والراء أصل صحيح واحد يدل على قوة وبروز، من ذلك ظهر الشيء يظهر ظهورا فهو ظاهر إذا انكشف وبرز، ولذلك سمي وقت الظهر والظهيرة، وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها، والأصل فيه كله ظهر الإنسان، وهو خلاف بطنه، وهو يجمع البروز والقوة، ويقال للركاب: الظهر؛ لأن الذي يحمل منها الشيء ظهورها، ويقال: رجل مظهر أي شديد الظهر، ورجل ظهر يشتكي ظهره، ومن الباب أظهرنا إذا سرنا في وقت الظهر، ومنه ظهرت على كذا إذا اطلعت عليه، والظهير البعير القوي، والظهير المعين كأنه أسند ظهره إلى

---

(١) يقصد بذلك عند حديثه عن مادة – طهر – يُنظر تاج العروس ج١٢ صد ٤٤٢ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق – مادة ظهر – ج١٢ صد ٤٨٧.

ظهرك، والظهور الغلبة، قال الله تعالى: ﴿فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ (الصفّ: ١٤)، والظاهرة العين الجاحظة، والظهار قول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، وهي كلمة كانوا يقولونها يريدون بها الفراق، وإنما اختصوا الظهر لمكان الركوب وإلا فسائر أعضائها في التحريم كالظهر، والظهار من الريش ما يظهر منه في الجناح، والظهري كل شيء تجعله بظهر أي تنساه كأنك قد جعلته خلف ظهرك إعراضًا عنه وتركًا له، قال الله سبحانه: ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّا ﴾ (هود: ٩٢)، وقد جعل فلان حاجتي بظهره إذا لم يقبل عليها بل جعلها وراءه" [١].

الخلاصة:

يتضح مما سبق أن الإظهار مصدر للفعل أظهر الرباعي وأصل مادته (ظَهَر)، وأصلها من ظهر الإنسان، ويُطلق على الركاب؛ لأنه يُحمل على ظهرها، ولهذه المادة معان متعددة:

الأول: الوضوح والتبيين والبروز والانكشاف، ومنه ظهر الشيء وأظهرته.

الثاني: القوة والشدة والغلبة، ومنه ظهرت على الرجل.

الثالث: الإعانة والمساعدة، ومنه الظهير.

وأرى ـ والله تعالى أعلم ـ أن المعاني الثلاثة متقاربة؛ لأن الغلبة تقتضي الظهور والوضوح؛ حيث يتبين الغالب من المغلوب، وكذا المساعدة بها يقوى المساعَد ويشتد، وينكشف ويتضح ذلك؛ ولذلك أرى أن الإظهار يرجع إلى المعنى الأول.

---

(١) معجم مقاييس اللغة – مادة ظهر – ج٣ صـ٤٧١.

وبناء عليه أستطيع القول: إن الإظهار: إيضاح وكشف وتبيين لشيء ما.

ثانيًا: تعريف الإضمار في اللغة.

تعددت أقوال علماء اللغة في معناه، **يقول الإمام ابن فارس:** "الضَّادُ وَالْمِيمُ وَالرَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى دِقَّةٍ فِي الشَّيْءِ، وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى غَيْبَةٍ وَتَسَتُّرٍ. فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: ضَمَرَ الْفَرَسُ وَغَيْرُهُ ضُمُورًا، وَذَلِكَ مِنْ خِفَّةِ اللَّحْمِ، وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْهُزَالِ. وَيُقَالُ لِلْمَوْضِعِ الَّذِي تُضَمَّرُ فِيهِ الْخَيْلُ: الْمِضْمَارُ. وَرَجُلٌ ضَمْرٌ: خَفِيفُ الْجِسْمِ. وَاللُّؤْلُؤُ الْمُضْطَمِرُ: الَّذِي فِي وَسَطِهِ بَعْضُ الِانْضِمَامِ وَالِانْضِمَارِ. وَالْآخَرُ الضِّمَارُ، وَهُوَ الْمَالُ الْغَائِبُ الَّذِي لَا يُرْجَى. وَكُلُّ شَيْءٍ غَابَ عَنْكَ فَلَا تَكُونُ مِنْهُ عَلَى ثِقَةٍ فَهُوَ ضِمَارٌ ... وَمِنْ هَذَا الْبَابِ: أَضْمَرْتُ فِي ضَمِيرِي شَيْئًا; لِأَنَّهُ يُغَيِّبُهُ فِي قَلْبِهِ وَصَدْرِهِ." (١).

ويقول الإمام ابن منظور: " الضُّمْرُ والضُّمُر، مثلُ العُسْر والعُسُر: الهُزالُ ولَحاقُ البطنِ ... وَقَدْ ضَمَرَ الفرسُ وضَمُرَ؛ قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: ضَمَرَ، بِالْفَتْحِ، يَضْمُر ضُموراً وضَمُر، بِالضَّمِّ، واضْطَمَر ... وَفِي الْحَدِيثِ: (إذا أَبْصَرَ أَحدُكم امرأَةً فَلْيأْت أَهْلَه فإِن ذَلِكَ يُضْمِرُ مَا فِي نَفْسِهِ) (٢) ؛ أَي

---

(١) معجم مقاييس اللغة – مادة ضمر – ج٣ صـ ٣٧١.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه عن جَابِرٍ بن عبد الله: "أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم رَأَى امْرَأَةً فَدَخَلَ على زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَقَضَى حَاجَتَهُ منها ثُمَّ خَرَجَ إلى أَصْحَابِهِ فقال لهم إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ في صُورَةِ شَيْطَانٍ فَمَنْ وَجَدَ من ذلك شيئًا فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ فإنه يُضْمِرُ ما في نَفْسِهِ"، كتاب النكاح – باب ما يؤمر به من غض البصر – حديث رقم (٢١٥١) ج٢ صـ ٢٤٦، والإمام الترمذي في سننه – كتاب النكاح – باب ما جاء في الرجل يرى المرأة تعجبه – حديث رقم (١١٥٨) ج٣ صـ ٤٦٤، وقال: حَدِيثُ جَابِرٍ حَدِيثٌ صَحِيحٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، والإمام البيهقي في سننه الكبرى – كتاب النكاح – باب ما يفعل إذا رأى

يُضْعِفه ويُقَلِّله، مِنَ الضُّمور، وَهُوَ الهُزال وَالضَّعْفُ ... والضَّمِيرُ: السِّرُّ وداخِلُ الخاطرِ، وَالْجَمْعُ الضَّمائرُ. اللَّيْثُ: الضَّمِيرُ الشَّيْءُ الَّذِي تُضْمِره فِي قَلْبِكَ، تَقُولُ: أَضْمَرْت صَرْفَ الْحَرْفِ إِذا كَانَ مُتَحَرِّكًا فأَسْكَنْته، وأَضْمَرْتُ فِي نَفْسِي شيئاً، والاسم الضَّمِيرُ، وَالْجَمْعُ الضَّمَائِرُ. والمُضْمَرُ: الموضعُ والمَفْعولُ ... وأَضْمَرْتُ الشَّيْءَ: أَخْفَيته. وهَوًى مُضْمَرٌ وضَمْرٌ كأَنه اعْتُقد مَصدرًا عَلَى حَذْفِ الزِّيَادَةِ: مَخْفِيٌّ" [1].

ويقول الإمام الفيروز آبادي: "الضُّمْرُ، بالضم وبضمتين: الهُزالُ، ولَحاقُ البَطْنِ، ضَمَرَ ضُمُوراً، كَنَصَر وكَرُمَ، واضْطَمَرَ، وجَمَلٌ ضامِرٌ كناقَةٍ، وبالفتح: الرجلُ الهَضِيمُ البَطْنِ، اللطيفُ الجِسمِ، وهي: بهاءٍ، والفرسُ الدَّقيقُ الحاجبين. والضميرُ: العِنَبُ الذابِلُ، والسِّرُّ، وداخِلُ الخاطِرِ، ج: ضَمائرُ. واضْمَرَه: أخْفاه، والموضعُ والمفعولُ: مُضْمَرٌ" [2].

□استنتاج واستنباط:

يتضح مما سبق أن الإضمار مصدر للفعل أضمر الرباعي وأصل مادته (ضَمَرَ)، ولهذه المادة معنيان:

الأول: الدقة والهُزال من الضُّمور.

من أجنبية ما يعجبه – حديث رقم (١٣٢٩٤) ج٧ صـ ٩٠، والإمام عبد بن حميد في مسنده – من مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه–حديث رقم (١٠٦١) ج١ صـ٣٢٢=

= وأصله في صحيح مسلم من حديث جابر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا أحدكم أَعْجَبَتْهُ الْمَرْأَةُ فَوَقَعَتْ في قَلْبِهِ فَلْيَعْمِدْ إلى امْرَأَتِهِ فَلْيُوَاقِعْهَا فإن ذلك يَرُدُّ ما في نَفْسِهِ" – كتاب النكاح – باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه إلى أن يأتي امرأته أو جاريته فيواقعها – حديث رقم (١٤٠٣) ج٢ صـ ١٠٢١.

(١) لسان العرب – مادة ضمر– ج٤ صـ ٤٩١، ٤٩٢.

(٢) القاموس المحيط – مادة ضمر – ج١ صـ ٤٢٩.

الثاني: الغيبة والتستر والخفاء، من الإضمار.

وقد يكون الجامع بينهما أن الأول ليس واضحًا بما فيه الكفاية فيكون كالمستتر، بخلاف نقيضه.

وعلى كل فالإضمار يرجع للمعنى الثاني.

وبناء عليه أستطيع القول: إن الإضمار: إخفاء شيء ما وتغييبه وستره.

الخلاصة:

أن الإظهار ضد الإضمار **فالأول**: إيضاح وتبيين وكشف لشيء ما، **والثاني**: عكسه، إخفاء وتغييب وستر لشيء ما.

المبحث الثاني: الخروج عن مقتضى الظاهر أنواعه، وأسبابه.

تمهيد:

الأصل في الكلام أن يأتي على مقتضى الظاهر لكن قد يعدل عن ذلك لنكتة بلاغية تستدعي ذلك، **يقول الدكتور/ عبد الرحمن حسن حبنكة:** "درس علماء البلاغة ضمن تتبُّعِهم لموضوعات علم المعاني ظاهرةَ الخروج عن مقتضى الظاهر في الكلام البليغ، لداعٍ من الدواعي البلاغيّة ذات التأثير في النفوس والأفكار، لما فيها من عناصر فَنّيَّةٍ إبداعيّة تتضمَّن دلالاتٍ فكرية، أو تعبيراتٍ جماليّة، أو إلماحات ذكيّة" (١).

أولًا: أنواع الخروج عن مقتضى الظاهر:

تتبع علماء البلاغة أنواع الخروج عن مقتضى الظاهر وظهر لهم بعد التتبع تسعة أنواع، سأذكرها بإيجاز، مع تعريف كل نوع منها، وذكر مثال واحد له.

النوع الأول: الالتفات

وهو التحويل في التعبير الكلاميّ من اتجاه إلى آخر من جهات أو طرق الكلام الثلاث: "التكلّم، والخطاب، والغيبة" مع أنّ الظاهر في متابعة الكلام يقتضي الاستمرار على ملازمة التعبير وفق الطريقة المختارة أوّلًا دون التحوّل عنها، **وأضاف السَّكّاكيّ** إلى ما اشتمل عليه هذا التعريف التعبيرَ ابتداءً بواحدة من هذه الطُّرُقِ إذا كان على خلاف مقتضى الظاهر، كأنْ يتحدّث المتكلِّم عن نفسه بأسلوب الخطاب الذي يخاطب به غيره، أو يتحدَّث مع من يخاطبه بأسلوب التكلّم عن الغائب، أو يتحدّث

(١) البلاغة العربية ج١ صـ ٤٧٨.

عن نفسه بأسلوب الحديث عن الغائب، أو يتحدّث عن الغائب بأسلوب الخطاب، وهكذا.

مثال الأول: **قوله تعالى** ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٩)، حيث كان الكلام بأسلوب الغيبة عن أسلاف بني إسرائيل، ثم عدل إلى خطاب الحاليين في قوله: ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾، وفيه فائدتان: **الأولى:** فَنِّية التنويع في العبارة المثيرة لانتباه المتلقي، والباعثة لنشاطه في استقبال ما يوجه له، والإصغاء إليه، **والثانية:** الاقتصاد والإيجاز في التعبير.

ومثال الثاني: **قوله تعالى** ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٣٠)، حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: وإذ قلت، فعدل ابتداءً عن أسلوب التكلم إلى الغيبة (١)..

النوع الثاني: **أسلوب الحكيم**.

وهو صَرْفُ كلامِ المتكلّم أو سؤال السائل عن المراد منه، وحَمْلُه على ما هو الأَوْلَى بالْقَصْد، أو إجابته على ما هو الأولى بالقصد.

(١)يُنظر الإيضاح في علوم البلاغة للإمام القزويني ج٢ صـ ٨٥ وما بعدها، وعلوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» للشيخ/ أحمد مصطفى المراغي صـ ١٤١، والبلاغة العربية للدكتور/ عبد الرحمن حسن حبنكة ج١ صـ ٤٧٩، وخصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني) للدكتور/ محمد محمد أبو موسى صـ ٢٤٩ وما بعدها.

مثال الأول: **قوله تعالى** ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ ﴾ (الأنفال: ١٩)، أي إن تدعوا الله – تعالى – بالنصر على النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فقد جاءكم على غير ما تطلبون؛ حيث جاءكم نصر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عليكم.

ومثال الثاني: **قوله تعالى** ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٦٥)؛ حيث سألوا عمَّا ينفقون، فأُجيبوا بمن ينفقون عليهم (١).

النوع الثالث: **الإظهارُ في مقام الإضمار، والإضمار في مقام الإظهار**.

وهو أن يقتضي المقام التعبير بالضمير فيُعبِّر بالاسم الظاهر بدله، أو أن يقتضي المقام التعبير بالاسم الظاهر فيُعبّر بالضمير بدله.

مثال الأول: **قوله تعالى** ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: فتوكل عليه إنه يحب المتوكلين، لكنه وضع الاسم الظاهر بدل الضمير، والغرض إدخال الروعة والمهابة في نفس المخاطب.

---

(١) يُنظر الإيضاح في علوم البلاغة للإمام القزويني ج٢ صـ ٩٤، وعلوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» للشيخ/ أحمد مصطفى المراغي صـ ١٤٢، والبلاغة العربية للدكتور/ عبد الرحمن حسن حبنكة ج١ صـ ٤٩٨ وما بعدها.

ومثال الثاني: **قوله تعالى** ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١)، أي: قل: الشأنُ العظيم الجليل الذي يجب أن يَهْتَمَّ بِه كُلُّ ذي فكر اللهُ أَحَدٌ، فعبر بالضمير عن الظاهر، والغرض منه التعظيم والتفخيم (١).

النوع الرابع: **التّعبير عن المستقبل بلفظ الماضي**.

مثل: **قوله تعالى**﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلّٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ (الأعراف: ٤٢ : ٤٣)، حيث عبَّر عمَّا سيحدث يوم القيامة بصيغة الفعل الماضي؛ للدلالة على تحقق وقوعه، وهذا النوع كثير في القرآن الكريم (٢).

النوع الخامس: **التّغْليب**.

وهو إعطاء أحد المتصاحِبَيْن في اللّفظ، أو المتشاكِلَيْنِ المتشابِهَيْنِ فِي بَعْضِ الصفات، أو المتجاورين أو نحو ذلك حُكْمَ الآخَر.

---

(١)يُنظر الإيضاح في علوم البلاغة للإمام القزويني ج٢ صـ ٨١ وما بعدها، والبرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ج٢ صـ ٤٨٤ وما بعدها، وعلوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» لللشيخ/ أحمد مصطفى المراغي صـ ١٤٠، ١٤٣، والبلاغة العربية للدكتور/ عبد الرحمن حسن حبنكة ج١ صـ ٥٠٣ وما بعدها، وخصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني) للدكتور/ محمد محمد أبو موسى صـ ٢٤١ وما بعدها.

(٢) يُنظر الإيضاح في علوم البلاغة للإمام القزويني ج٢ صـ ٩٦، وعلوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» للشيخ/ أحمد مصطفى المراغي صـ ١٤٥ وما بعدها، والبلاغة العربية للدكتور/ عبد الرحمن حسن حبنكة ج١ صـ ٥٠٩ وما بعدها، وخصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني) للدكتور/ محمد محمد أبو موسى صـ ٢٦٢ وما بعدها.

مثاله: **قوله تعالى** ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ (الكهف: ٥٠)، حيث غَلَّب الملائكة على من أُمر معهم من الجن بالسجود؛ بدليل قوله ﴿**كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ**﴾ ، ولو لم يكونوا مأمورين مع الملائكة لما كان امتناعه عن ذلك ذنبًا (١).

النوع السادس: **وضع الخبر موضع الإنشاء ووضع الإنشاء موضع الخبر**.

مثال الأول: **قوله تعالى** ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ (البقرة: ٨٤)، حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: لا تسفكوا ولا تخرجوا بصيغة الإنشاء فعدل عنها إلى صيغة الخبر، فجاء التكليف بصيغة الخبر وبعبارة الفعل المضارع للإشعار بلزوم فورية الامتثال.

ومثال الثاني: **قوله تعالى** ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾(الأعراف: ٢٩)، حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: وبإقامة وجوهكم وبدعوته مخلصين، بصيغة الخبر، فعدل عنها إلى صيغة الإنشاء، إشعاراً بالاهتمام بالمطلوب في أمر التكليف (٢).

النوع السابع: **الانتقال من الفعل الماضي إلى الفعل المضارع والعكس**.

مثال الأول: **قوله تعالى** ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ (فاطر: ٩)، حيث كان

---

(١) يُنظر علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» للشيخ/ أحمد مصطفى المراغي صـ ١٤٧، والبلاغة العربية للدكتور/ عبد الرحمن حسن حبنكة ج١ صـ ٥١٠ وما بعدها.

(٢) يُنظر علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» للشيخ/ أحمد مصطفى المراغي صـ ١٤٦، والبلاغة العربية للدكتور/ عبد الرحمن حسن حبنكة ج١ صـ ٥١٢ وما بعدها.

مقتضى الكلام أن يقول: فأثارت سحابًا بصيغة الماضي، عطفًا على أرسل، لكنه عدل عنها إلى صيغة المضارع؛ بغية تقديم صورة السحاب المثار كأنه حدث يجري مع تلاوة النص، وهذا أسلوب فني بديع، فيه إحضار للمشاهد الماضية في صور المشاهد الحاضرة الجارية، ذات الأحداث المتجددة.

ومثال الثاني: **قوله تعالى** ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ (النمل: ٨٧)، حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: فيفزع من في السماوات والأرض بصيغة المضارع، عطفًا على يُنفخ، لكنه عدل عنها إلى صيغة الماضي؛ للتأكيد على تحقق حدوثه، وأنه واقع لا محالة، شأنه شأن ما وقع وانتهى [١].

النوع الثامن: **تجاهل العارف**.

وهو أن يتكلم العالم بالشيء متظاهرًا بالجهل أو الشك فيه لغرض ما.

مثاله: **قول الشاعر**:

أَلَمْعُ بَرْقٍ جَرَى أَمْ ضَوْءُ مِصْبَاحِ *** أَمِ ابْتِسَامَتُهَا بِالْمَنْظَرِ الضَّاحِي [٢]

يريد الشاعر أن يصف ابتسامة مالكةِ هواه بأنها ابتسامة مضيئة، فأراد تأكيد هذه الفكرة بطرح تشكيك حول ثلاثَةِ أُمُورٍ باعِثاتِ ضوء، وهي: "لَمْعُ البرق – ضوء مصباح – بَرِيقُ ثَغْرِها" وهو عارفٌ غير جاهل، فبريق ثغرها هو الذي أثار مشاعره، فأراد أن يُثْنِيَ عليه بطرح اختلاطه في تصوّره بالأشياء والنظائر، مع تأكيد أن ابتسامتها ذات بريق (٣).

(١) يُنظر علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» للشيخ/ أحمد مصطفى المراغي صـ ١٤٤، والبلاغة العربية للدكتور/ عبد الرحمن حسن حبنكة ج١ صـ ٥١٥ وما بعدها.

(٢) لم أقف على قائلة، يُنظر البلاغة العربية للدكتور/ عبد الرحمن حسن حبنكة ج١ صـ ٥١٧.

(٣) يُنظر البلاغة العربية للدكتور/ عبد الرحمن حسن حبنكة ج١ صـ ٥١٧ وما بعدها.

النوع التاسع: القلب.

ويكون القلْب بإجراء التبادل بين جزئين من أجزاء الجملة لغرضٍ بلاغيّ يستحسنُه الفطناء، وَيُلْحَقُ به القلب في التشبيه.

مثال الأول: قوله تعالى ﴿ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾ (الأعراف: ٤) حيث إن مجيء البأس يكون قبل الإهلاك.

ومثال الثاني: قول الشاعر:

ومهمة مغيرة أرجاؤه *** كأن لون أرضه سماؤه [١].

أي كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه، فعكس التشبيه للمبالغة [٢].

ثانيًا: أسباب الخروج عن مقتضى الظاهر:

اجتهد العلماء قديمًا وحديثًا في بيان أسباب الخروج عن مقتضى الظاهر، وإن كان ذلك يختلف حسب الاجتهاد فقد يفتح الله – تعالى – على البعض بمعرفة أسباب وأسرار لم يصل إليها أحد قبله، وذلك فضل الله – تعالى – يؤتيه من يشاء، فأسباب الخروج عن مقتضى الظاهر شأنها شأن غيرها من الأسرار البلاغية التي تختلف فيها مَشَارب الناس، وتختلف باختلاف الموضع والسياق الذي ورد فيه الكلام، وكذا حال المتكلم والمخاطب، وقد مرَّ ذكر بعض هذه الأسرار عند الحديث في المطلب الأول لهذا المبحث عن أنواع الخروج عن مقتضى الظاهر" [٣].

□

---

(١) البيت لرؤبة، يُنظر الإيضاح في علوم البلاغة للإمام القزويني ج٢ صـ ٩٨.

(٢) يُنظر الإيضاح في علوم البلاغة للإمام القزويني ج٢ صـ ٩٧، والبلاغة العربية للدكتور/ عبد الرحمن حسن حبنكة ج١ صـ ٥١٩ وما بعدها.

(٣) يُنظر صـ ١١ وما بعدها.

المبحث الثالث: الإظهار في مقام الإضمار، وأسبابه.

أولًا: قاعدة الإظهار في مقام الإضمار.

الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة وكذا أصل المحدَّث عنه كذلك، والأصل أنَّه إذا ذكر ذلك المظهر ثانية أن يذكر مضمرًا؛ وذلك استغناءً عنه بالظاهر، لكن قد يعدل المتكلم عن ذلك فيقوم بوضع الاسم الظاهر موضع الضمير، وهذا مايُطلِق عليه العلماء: **الإظهار في مقام الإضمار**، **يقول الإمام الزركشي:** " وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْأَسْمَاءِ أَنْ تَكُونَ ظَاهِرَةً وَأَصْلُ الْمُحَدَّثِ عَنْهُ كَذَلِكَ وَالْأَصْلُ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَ ثَانِيًا أَنْ يُذْكَرَ مُضْمَرًا لِلِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ بِالظَّاهِرِ السَّابِقِ" (١).

ويقول الدكتور/ عبد الرحمن حسن حبنكة: "قد يكون استخدام الضمير في الكلام هو المتبادر الذي يقتضيه ظاهر الأسلوب المعتاد، لكن قد يوجد داع بلاغي يستدعي استخدام الاسم الظاهر بدل استخدام الضمير" (٢).

ثانيًا: أسباب الإظهار في مقام الإضمار.

إذا وضع الاسم المظهر بدل الضمير فإنه يكون لغرض بلاغي ولسبب معين يقصده المتكلم، وهذه الأسباب منها ما يكون عامًا يشترك فيه أكثر من موضع، كقصد المدح أو الذم وغيرها من الأسباب التي وضعها العلماء، ومنها ما يكون خاصًا بذلك الموضع، يستخرجه الباحثون من خلال النظر إلى حال المتكلم والمخاطب والسياق الذي ورد فيه الكلام، وقد اجتهد العلماء قديمًا وحديثًا في بيان هذه الأسباب بنوعيها،

---

(١) البرهان في علوم القرآن ج٢ صـ ٤٨٤.

(٢) البلاغة العربية ج١ صـ ٥٠٣.

وما زال الباب مفتوحًا لغيرهم من الباحثين، فقد يفتح الله – تعالى – على المتأخر بما لم يفتح به على سابقه، وسأذكر بإذن الله – تعالى – بعض الأسباب التي ذكرها العلماء في هذا الشأن، **وقد قسم العلماء الاسم المظهر إلى قسمين:**

القسم الأول: **أن يكون اسم إشارة**، **ومن أسباب وضعه بدل المضمر:**

(١) **كمال العناية بتمييزه لاختصاصه بحكم بديع**:

مثل قول الشاعر:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه *** وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذي ترك الأوهام حائرة *** وصير العالم النحرير زنديقا [١]

فوضع اسم الإشارة (هذا) بدل الضمير الذي يعود على البيت الأول؛ لإظهار العناية بهذا المعنى المحسوس حتى يخبر عنه بما أخبر به في البيت الثاني.

(٢) **التهكم باستخدام اسم الإشارة**:

مثل قول الشاعر:

قال للأعمى وقد أزعجه *** منه إنكار بزوغ القمر

أيها الجاحد هذا نوره *** ساطع عبر غصون الشجر [٢]

كان مقتضى الظاهر أن يقول له:

نوره يخترق الأفق لنا *** فنراه من خلال الشجر

---

(١) البيتان لأحمد بن يحي الراوندي، من بحر البسيط، يُنظر معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للإمام أبي الفتح العباسي ج١ صـ ١٤٧، ١٤٨، و أساليب بلاغية (الفصاحة – البلاغة – المعاني) لأحمد مطلوب الرفاعي صـ ٢٤٩.

(٢) البيتان للدكتور/ عبد الرحمن حسن حبنكة نظمهما للتدليل على هذا السبب من أسباب إظهار اسم الإشارة بدل الضمير، يُنظر البلاغة العربية ج١ صـ ٥٠٤.

لكنه أراد التهكم به لجحوده ما يراه المبصرون وهو أعمى، فاستخدم اسم الإشارة، لإشعاره بأنه لو كان يبصر لرآه.

(٣) **إظهار بلاهة المقصود بالخطاب**:

وأنه لا يفهم إلا بالإشارة الحسية، فلا يكفيه الضمير لمعرفة المراد، كأن تقول لمن تريد وصفه بالبلادة، وهو يتحدث عن كتاب بيده اشتراه وهو مبتهج بشرائه له: أرني هذا الكتاب الذي اشتريته.

لقد كان مقتضى الظاهر أن تقول له: أرنيه، إلا أنك أردت إشعاره بالبلادة، وأنه ليس أهلا لاقتناء الكتب.

(٤) **إظهار فطانة المتكلم أو المخاطب**:

حتى كأن الأمر الفكري غير المحسوس – بالنسبة إليه – يشبه الأمور الحسية، **ومنه قول الشاعر:**

تعاللت كي أشجى وما بك علة *** تريدين قتلي قد ظفرت بذلك [(١)]

أي: ادعيت العلة كي أحزن من أجلك وأنت سليمة، أتريدين قتلي بما تفعلين؟ إن كنت تريدين قتلي فقد ظفرت بذلك، وكان مقتضى الظاهر أن يقول لها: قد ظفرت به [(٢)].

□

(١) البيت لعبد الله بن الدمينة، من بحر الطويل، يُنظر معاهد التنصيص على شواهد التلخيص للإمام أبي الفتح العباسي ج١ صـ ١٥٩، و أساليب بلاغية (الفصاحة – البلاغة – المعاني) لأحمد مطلوب الرفاعي صـ ٢٥٠.

(٢) يُنظر الإيضاح للإمام القزويني ج٢ صـ ٨٢ وما بعدها، وعلوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» للشيخ/ أحمد المراغي صـ ١٤٣ ، ١٤٤، والبلاغة العربية للدكتور/ عبد الرحمن حسن حبنكة ج١ صـ٥٠٣ وما بعدها، وخصائص التراكيب للدكتور/ محمد محمد أبو موسى صـ ٢٤٤ وما بعدها.

القسم الثاني: أن يكون اسمًا ظاهرًا، ومن أسباب وضعه بدل المضمر:

(١) **قصد التعظيم**، مثل قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

(٢) **قصد الإهانة والتحقير**، مثل قوله تعالى ﴿ ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ (المجادلة: ١٩).

(٣) **الاسْتِلْذَاذُ بِذِكْرِهِ**، مثل قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ ﴾ (فاطر: ١٠).

(٤) **زِيَادَةُ التَّقْدِيرِ**، مثل قوله تعالى ﴿ وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ ﴾ (الإسراء: ١٠٥)

(٥) **إِزَالَةُ اللَّبْسِ حَيْثُ يَكُونُ الضَّمِيرُ يُوهِمُ أَنَّهُ غَيْرُ الْمُرَادِ**، مثل قوله تعالى ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴾ (الإسراء: ٧٨)، فلو قال: (إنه) لأَوْهم عود الضمير إلى الفجر.

(٦) **تَرْبِيَةُ الْمَهَابَةِ وَإِدْخَالُ الرَّوْعَةِ فِي ضَمِيرِ السَّامِعِ بِذِكْرِ الِاسْمِ الْمُقْتَضِي لِذَلِكَ**، مثل قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ (النساء: ٥٨)، حيث قال: (إن الله) وكان مقتضى الكلام أن يقول: (آمركم).

(٧) **قَصْدُ تَقْوِيَةِ دَاعِيَةِ الْمَأْمُورِ**، مثل قوله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾

(آل عمران: ١٥٩)، فقال: (إن الله يحب المتوكلين)، ولم يقل: (إنه)؛ لتقوية داعي الأمر بالتوكل قبله.

٨) **تَعْظِيمُ الْأَمْرِ**، مثل قوله تعالى ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ (الإنسان: ١ – ٢)، فأعاد لفظ الإنسان للدلالة على عظم خلقه [١].

□

(١) يُنظر الإيضاح في علوم البلاغة للإمام القزويني ج٢ صـ ٨٤ وما بعدها، والبرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ج٢ صـ ٤٨٥ وما بعدها، وعلوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» للشيخ/ أحمد المراغي صـ ١٤٤ وما بعدها، والبلاغة العربية للدكتور/ عبد الرحمن حسن حبنكة ج١ صـ ٥٠٤ وما بعدها، وخصائص التراكيب للدكتور/ محمد محمد أبو موسى صـ ٢٤٥ وما بعدها.

المبحث الرابع: الإضمار في مقام الإظهار، وأسبابه.

أولًا: قاعدة الإضمار في مقام الإظهار.

الأصل في الكلام ألا يُذكر الضمير إلا وقد سبقه ما يعود عليه، لكن قد يُعدل عن ذلك فيُذكر ليُفسَّر بمتأخر عنه أو من غير مفسِّر لغرض بلاغي، وهذا ما يطلق عليه العلماء: الإضمار في مقام الإظهار، **يقول الدكتور/ محمد أبو موسى:** "أما مخالفة مقتضى الظاهر في الإضمار والإظهار، فقد قالوا: الأصل ألا يذكر الضمير إلا وقد سبقه ما يعود عليه؛ ليكون المقصود بالكلام واضحًا، تقول: لقيت زيدًا وأكرمته، فتذكر الضمير في أكرمته؛ لأنه سبقه ما يعود عليه، ولا تقول: لقيته، هكذا ابتداء؛ لأن ذلك ضرب من التعمية، والإلباس يناقض القصد من اللغة والبيان. ومع وضوح هذا الأصل تجد صورًا من الأساليب بُنيت على خلافه، فيُذكر الضمير ليفسر بمتأخر عنه في بعض هذه الصور، أو يُذكر من غير مفسر اعتمادًا على فهم السامع، أو وضوح المعنى، أو غير ذلك" [(١)].

□

---

(١) خصائص التراكيب (دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني) صـ ٢٤١.

ثانيًا: أسباب الإضمار في مقام الإظهار.

الإضمار في مقام الإظهار قسمان:

القسم الأول: ما فُسِّر بمتأخر عنه، **وله صورتان:**

الأولى: **ضمير الشأن أو القصة**، والغرض من وضع ضمير الشأن موضع الاسم الظاهر التعظيم والتفخيم، أو التهويل، أو الاستهجان، أو نحو ذلك. ومثاله قوله تعالى ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص:١)، فقوله: (هو) ضمير الشأن ومفسره الجملة بعده، وواضح أن مضمونها معنى كبير هو محور الصراع في تاريخ البشرية، ولو قال سبحانه: {اللَّهُ أَحَدٌ} لما وجدت للكلام هذا الأثر، وهذه القوة التي تحسها النفس من هذه التهيئة المؤذنة بأن ما سيأتي بعدها كلام له خطر عظيم.

الثانية: **قولهم: نعم رجلًا زيد إذا اعتبر زيد خبر مبتدأ محذوف؛** لأن فاعل نعم يكون ضميرًا عائدا على مفعول مبهم كالمظهر في نعم الرجل، أي ليس له مدلول معين، وهذا الإبهام تفسيره الجملة المذكورة بعده –هو زيد– فإذا كان المخصوص مبتدأ مؤخرًا، ونعم خبرًا مقدمًا، فلا يدخل في هذا الباب؛ لأن الضمير الفاعل عائد حينئذ على المخصوص، والغرض من الضمير المستتر في هذا الباب الإبهام به أولًا للتشويق واستثارة النفس، ويأتي التمييز فيزيل بعض الإبهام ويزيد تشويقًا لمعرفة المخصوص بالمدح.

القسم الثاني: **ما لم يُفسَّر بما بعده،** وذلك اعتمادًا على وضوح المراد وادعاء أنه معروف حاضر في القلب لا يخطر بالبال سواه، **وله صورتان:**

الأولى: أن يتم الإشارة إليه، كما جاء في مطالع القصائد التي تذكر الصاحبة بضمير عائد عليها **مثل قوله:**

زارت عليها للظلام رواق *** ومن النجوم قلائد ونطاق [١].

الثانية: أن يكون الإضمار خاليا من هذه الإشارة، وإنما اعتمد فيه على مجرد الوضوح فقط **كما في قول الشاعر**:

مما حملن به وهن عواقد *** حبك النطاق فشب غير مهبل [٢]

أراد في قوله: ما حملن به، النساء، ولم يجر لهن ذكر لوضوح المراد [٣].

---

(١) لم أقف على قائله، يُنظر مفتاح العلوم للإمام السكاكي صـ ٢٣١، وخصائص التراكيب "دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني" للدكتور/ محمد محمد أبو موسى صـ ٢٤٤.

(٢) البيت لأبي كبير الهذلي عامر بن الحليس، من بحر الكامل، يُنظر ديوان الهذليين ترتيب وتعليق محمد محمود الشنقيطي، وشرح شواهد المغني للإمام جلال الدين السيوطي ج٢ صـ ٩٦٣.

(٣) يُنظر في أسباب الإضمار في مقام الإظهار: الإيضاح في علوم البلاغة للإمام القزويني ج٢ صـ ٨١، ٨٢، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للإمام بهاء الدين السبكي ج١ صـ ٢٦٤، وعلوم البلاغة "البيان، المعاني، البديع" للشيخ/ أحمد المراغي صـ ١٤٣، ١٤٤، والبلاغة العربية للدكتور/ عبد الرحمن حسن حبنكة ج١ صـ ٥٠٧ وما بعدها، وخصائص التراكيب "دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني" للدكتور/ محمد محمد أبو موسى صـ ٢٤١ وما بعدها.

الفصل الثاني: الدراسة التطبيقية

ويحتوي على خمسة مباحث:

المبحث الأول: بين يدي سورة الأنفال.

المبحث الثاني: مواضع الإظهار في مقام الإضمار في الربع الأول من سورة الأنفال، وبيان السر فيها.

المبحث الثالث: مواضع الإظهار في مقام الإضمار في الربع الثاني من سورة الأنفال، وبيان السر فيها.

المبحث الرابع: مواضع الإظهار في مقام الإضمار في الربع الثالث من سورة الأنفال، وبيان السر فيها.

المبحث الخامس: مواضع الإظهار في مقام الإضمار في الربع الرابع من سورة الأنفال، وبيان السر فيها.

□

المبحث الأول: بين يدي سورة الأنفال.

اسم السورة: ورد في تسميتها اسمان:

الأول: **سورة الأنفال**؛ لأنها افتُتحت بآية ذُكر فيها الأنفال؛ ولأنها ذُكر فيها حكمها، وقد عُرفت به منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، قال الإمام الطاهر ابن عاشور: "عُرِفَتْ بِهَذَا الِاسْمِ مِنْ عَهْدِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: رَوَى الْوَاحِدِيُّ فِي «أَسْبَابِ النُّزُولِ» عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ قُتِلَ أَخِي عُمَيْرٌ وَقَتَلْتُ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ فَأَخَذْتُ سَيْفَهُ فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: اذْهَب الْقَبَضَ (بِفَتْحَتَيْنِ الْمَوْضِعُ الَّذِي تُجْمَعُ فِيهِ الْغَنَائِمُ) فَرَجَعْتُ فِيّ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، قُتِلَ أَخِي وَأُخِذَ سَلَبِي فَمَا جَاوَزْتُ قَرِيبًا حَتَّى نَزَلَتْ سُورَةُ الْأَنْفَالِ» [(١)]، وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: «قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: سُورَةُ الْأَنْفَالِ» قَالَ: «نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ» [(٢)]،فَبِاسْمِ الْأَنْفَالِ عُرِفَتْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَبِهِ كُتِبَتْ تَسْمِيَتُهَا فِي الْمُصْحَفِ حِينَ كُتِبَتْ أَسْمَاءُ السُّوَرِ فِي زَمَنِ الْحَجَّاجِ،

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده – مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنه – حديث رقم (١٥٥٦) ج١ صـ ١٨٠، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أن فيه انقطاعًا.

والإمام ابن أبي شيبة في مصنفه – كتاب السير – من جعل السلب للقاتل – حديث رقم (٣٣٠٨٥) ج٦ صـ ٤٧٨.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحة – كتاب التفسير – باب قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ حديث رقم (٤٣٦٨) ج٤ صـ ١٧٠٣.

والإمام مسلم في صحيحه بلفظ: تلك سورة بدر – كتاب التفسير – باب في سورة براءة والأنفال والحشر – حديث رقم (٣٠٣١) ج٤ صـ ٢٣٢٢.

وَلَمْ يَثْبُتْ فِي تَسْمِيَتِهَا حَدِيثٌ، وَتَسْمِيَتُهَا سُورَة الْأَنْفَالِ مِنْ أَنَّهَا افْتُتِحَتْ بِآيَةٍ فِيهَا اسْمُ الْأَنْفَالِ، وَمِنْ أَجْلِ أَنَّهَا ذُكِرَ فِيهَا حُكْمُ الْأَنْفَالِ [١].

الثاني: **سورة بدر**؛ لأنها نزلت في أحداث غزوة بدر، قال الإمام ابن عاشور: "وَتُسَمَّى أَيْضًا «سُورَةُ بَدْرٍ» فَفِي «الْإِتْقَانِ» أَخْرَجَ أَبُو الشَّيْخِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: «سُورَةُ الْأَنْفَالِ» قَالَ: «تِلْكَ سُورَةُ بَدْرٍ» [٢].

وقد ذكر بعض المفسرين هذا الاسم، **كالإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي** [٣]، **والشيخ/ محمد رشيد رضا** (٤)، **والشيخ/ عبد الكريم الخطيب** [٥].

عدد آياتها: **اختلف في عدد آياتها على ثلاثة أقوال:**

القول الأول: **خمس وسبعون آية**، وقد ذكر هذا القول وحده أكثر المفسرين، كالإمام الواحدي[٦]، والإمام البغوي[٧]، والإمام الزمخشري[٨]، والإمام الرازي[٩]، والإمام البيضاوي [١٠]، والإمام

(١) التحرير والتنوير ج٩ صـ ٢٤٥، وهذا هو الاسم الأشهر لها وقد اقتصر عليه أكثر المفسرين.

(٢) السابق نفس الجزء والصفحة، وهذا الأثر سبق تخريجه، في الصفحة السابقة هامش (٢)

(٣) يُنظر التفسير الوسيط ج٦ صـ ٩.

(٤) يُنظر تفسير المنار ج٩ صـ ٤٨٨.

(٥) يُنظر التفسير القرآني للقرآن ج٥ صـ ٥٥٧.

(٦) يُنظر التفسير الوسيط ج٢ صـ ٤٤٣.

(٧) يُنظر تفسير البغوي: معالم التزيل ج٢ صـ ٢٦٦.

(٨) يُنظر تفسير الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ج٢ صـ ١٩٣.

(٩) يُنظر تفسير الرازي: التفسير الكبير = مفاتيح الغيب ج١٥ صـ ٤٤٧.

(١٠) يُنظر تفسير البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج٣ صـ ٤٩.

ابـن جـزي الكلبـي [١]، والإمـام النيسـابوري [٢]، والإمـام أبـي السـعود [٣]، والإمام القاسمي [٤].

القول الثاني: **ست وسبعون آية**، وقد ذكر هذا القول وحده بعض المفسرين، كالإمام عبد القاهر الجرجاني [٥]، والإمام ابن كثير [٦]، والشيخ/ ابن عجيبة الفاسي [٧]، والإمام الشوكاني [٨]، والشيخ/ إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي [٩].

القول الثالث: **سبع وسبعون آية**، وقد ذكر هذا القول وحده بعض المفسرين، كالشيخ/ عبد الكريم الخطيب [١٠].

والقول الأول وفقًا لعدِّ أهل الكوفة، وموافق للمصحف الكوفي، **والقول الثاني** وفقًا لعدِّ أهل المدينة ومكة والبصرة،وموافق للمصحف الحجازي، **والقول الثالث** وفقًا لعدِّ أهل الشام، وموافق للمصحف الشامي [١١].

---

(١) يُنظر التسهيل لعلوم التنزيل ج١ صـ ٣٢٠.

(٢) يُنظر تفسير النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان ج٣ صـ ٣٧١.

(٣) يُنظر تفسير أبي السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٤ صـ ٢.

(٤) يُنظر تفسير القاسمي: محاسن التأويل ج٥ صـ ٢٥١.

(٥) يُنظر درج الدرر في تفسير الآي والسور ج٢ صـ ٨٢٥.

(٦) يُنظر تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج٤ صـ٥.

(٧) يُنظر البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ج٢ صـ ٣٠٣.

(٨) يُنظر تفسير الشوكاني: فتح القدير ج٢ صـ٣٢٣.

(٩) يُنظر روح البيان ج٣ صـ ٣١٠.

(١٠) يُنظر التفسير القرآني للقرآن ج٥ صـ ٥٥٧.

(١١) يُنظر التحرير والتنوير للإمام الطاهر ابن عاشور ج٩ صـ ٢٤٦، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج٦ صـ ٧.

والسؤال الذي يطرح نفسه، ما السبب وراء هذا الاختلاف؟ وهل يعني ذلك وجود نقص أو زيادة في آيات القرآن وكلماته وحروفه؟

الإجابة على الجزء الأول تتلخص في سببين:

الأول: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقف عند رءوس الآي للتوقيف، ثم قد يصل بعد ذلك لارتباط المعنى، فيحسب من سمعه أول مرة أنها آية، وهكذا.

الثاني: أن هناك بعض السور نزلت معها البسملة في بعض الأحرف السبعة، فاختلف القراء في عدِّها.

يقول الإمام الزركشي: "وَاعْلَمْ أَنَّ سَبَبَ اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِي عَدِّ الْآيِ وَالْكَلِمِ وَالْحُرُوفِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ كَانَ يَقِفُ عَلَى رُءُوسِ الْآيِ لِلتَّوْقِيفِ فَإِذَا عُلِمَ مَحَلُّهَا وَصَلَ لِلتَّمَامِ فَيَحْسَبُ السَّامِعُ أَنَّهَا لَيْسَتْ فَاصِلَةً، وَأَيْضًا الْبَسْمَلَةُ نَزَلَتْ مَعَ السُّورَةِ فِي بَعْضِ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ فَمَنْ قَرَأَ بِحَرْفٍ نَزَلَتْ فِيهِ عَدَّهَا وَمَنْ قَرَأَ بِغَيْرِ ذَلِكَ لَمْ يَعُدَّهَا" (١).

أما الإجابة على الجزء الثاني من السؤال فمبنية على إجابة الجزء الأول، والتي بها يتضح أنه لا نقص ولا زيادة في القرآن، ومحتوى السور واحد على كل الأقوال.

عدد الكلمات والحروف:

عدد الكلمات: ألف ومائتان وإحدى وثلاثون كلمة، **وعدد الحروف**: خمسة آلاف ومائتان وأربعة وتسعون حرفًا (٢).

---

(١) البرهان في علوم القرآن ج١ صـ ٢٥١ ، ٢٥٢، وقد قال الإمام السيوطي نفس الكلام، يُنظر الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي ج١ صـ ٢٣١، صـ ٢٣٩.

(٢) يُنظر تفسير الثعلبي الكشف والبيان ج٤ صـ ٣٢٤، وتفسير ابن كثير ج٤ صـ٥.

سبب نزولها:

نزلت هذه السورة في **شأن غزوة بدر وقسمة غنائمها**، وهذا هو السر في تسميتها سورة بدر، قال الإمام الشوكاني: "وَأَخْرَجَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَالْبُخَارِيُّ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَأَبُو الشَّيْخِ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ" (١).

وقد حكى بعض المفسرين الإجماع على ذلك (٢).

ترتيبها ووقت نزولها:

هذه السورة **هي الثامنة في ترتيب المصحف بعد سورة الأعراف وقبل التوبة**، وقد نزلت -كما مر- بعد الهجرة في شأن غزوة بدر، وكان نزولها بعد سورة البقرة، ولا يعني ذلك أنها نزلت بعد تمام نزول سورة البقرة بل بعد ابتداء نزولها (٣).

---

(١) فتح القدير ج٢ صـ ٣٢٣، ويُنظر التحرير والتنوير للإمام الطاهر ابن عاشور ج٩صـ ٢٤٥. والمروي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – جزء من حديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – كتاب التفسير – باب تفسير سورة الحشر – حديث رقم (٤٦٠٠) ج٤ صـ ١٨٥٢، والإمام مسلم في صحيحه – كتاب التفسير – باب في سورة براءة والأنفال والحشر – حديث رقم (٣٠٣١) ج٤ صـ ٢٣٢٢.

(٢) يُنظر تفسير ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢ صـ ٤٩٦، وتفسير الثعالبي: الجواهر الحسان في تفسير القرآن ج٢ صـ ١١٢.

(٣) يُنظر درج الدرر في تفسير الآي والسور للإمام عبد القاهر الجرجاني ج٢ صـ ٨٢٥، والتسهيل لعلوم التنزيل للإمام ابن جزي الكلبي ج١ صـ ٣٢٠، والتحرير والتنوير للإمام الطاهر ابن عاشور ج٩ صـ ٢٤٥، وتفسير المراغي ج٩ صـ ١٦١.

هل هذه السورة مكية أو مدنية؟

اختلف العلماء في ذلك على خمسة أقوال:

الأول: **كلها مدنية**، وإليه ذهب أكثر المفسرين [١].

الثاني: **كلها مدنية إلا آية واحدة**، وهي قوله تعالى ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ (الأنفال: ٣٠)، وقد ذكر هذا الرأي بعض المفسرين [٢].

الثالث: **كلها مدنية إلا آية واحدة**، وهي قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (الأنفال: ٦٤)، وقد ذكر هذا الرأي بعض المفسرين [٣].

---

(١) وممن رجح هذا القول: الإمام الثعلبي، يُنظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن ج٤ صـ ٣٢٤، والإمام الواحدي، يُنظر التفسير الوسيط ج٢ صـ ٤٤٣، والإمام البيضاوي، يُنظر أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج٣ صـ ٤٩، والإمام ابن كثير، يُنظر تفسير القرآن العظيم ج٤ صـ ٥، والإمام أبو السعود، يُنظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ج٤ صـ ٢، والإمام ابن عجيبة الفاسي، يُنظر تفسير القرآن المجيد ج٢ صـ ٣٠٣، والشيخ عبد الكريم الخطيب، يُنظر التفسير القرآني للقرآن ج٥ صـ ٥٥٧.

(٢) يُنظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام ابن عطية ج٢ صـ ٤٩٦، والجواهر الحسان في تفسير القرآن للإمام الثعالبي ج٣ صـ ١١٢، وتفسير المنار للشيخ/ محمد رشيد رضا ج٩ صـ ٤٨٨، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج٦ صـ ٧، ٨.

(٣) يُنظر تفسير المنار للشيخ/ محمد رشيد رضا ج٩ صـ ٤٨٨، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج٦ صـ ٧ ، ٨.

الرابع: كلها مدنية إلا آية واحدة، وهي قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ (الأنفال: ٣٣)، وقد ذكر هذا الرأي بعض المفسرين [١].

ا **لخامس**: **كلها مدنية إلا سبع آيات**، من أول قوله تعالى ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ ﴾ (الأنفال: ٣٠)، إلى قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴾ (الأنفال: ٣٦)، وحجتهم أن هذه الآيات تتحدث عن أحداث وقعت بمكة، وقد ذهب إليه بعض المفسرين [٢].

الترجيح:

يتضح بعد عرض أقوال العلماء السابقة أن أقوى هذه الآراء هو الأول يليه الأخير، ولعل الراجح والله أعلم – كما ذكر بعض المفسرين بعد ذكر الأقوال كلها – هو الأول الذي يرى أن السورة كلها مدنية وأن ما ذُكر من أن بعض الآيات تتحدث عن وقائع مكية لا يُنافي احتمال أن تكون نزلت في المدينة تذكيرًا للنبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وسياق الآيات يشهد لذلك [٣].

(١) يُنظر التحرير والتنوير للإمام الطاهر ابن عاشور ج٩ صـ ٢٤٥، ٢٤٦.

(٢) منهم: الإمام السمعاني، يُنظر تفسير السمعاني ج٢ صـ ٢٤٦، والإمام الزمخشري، يُنظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ج٢ صـ ١٩٣،والإمام الرازي، يُنظر مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ج١٥ صـ ٤٤٧، والشيخ أحمد المراغي، يُنظر تفسير المراغي ج٩ صـ ١٦١.

(٣) يُنظر معالم التزيل في تفسير القرآن للإمام البغوي ج٢ صـ ٢٦٦، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام ابن عطية ج٢ صـ ٤٩٦، ولباب التأويل في معاني التنزيل للإمام الخازن ج٢ صـ ٢٨٩، والتفسير المظهري للشيخ/ محمد ثناء الله المظهري ج٤ صـ ٦، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج٦ صـ ٧، ٨، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين الهرري ج١٠ صـ ٣٢٦.

ما ورد في فضلها:

ورد في فضلها فضائل عدة:

أولًا: أنها من المثاني [١]، وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الإمام أحمد عن واثلة بن الأسقع: "أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الإِنْجِيلِ المثاني وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ" [٢].

ثانيًا: ما أخرجه الإمام الطبراني عن أبي أيوب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما: "أَنّ النَّبِيَّ صلى اللَّهُ عليه وسلم كان يَقْرَأُ في الرَّكْعَتَيْنِ مِنَ الْمَغْرِبِ بِسُورَةِ الأَنْفَالِ" [٣].

تنبيه:

أورد بعض المفسرين **حديثًا موضوعًا** في فضلها، قال: "أَخْبَرَنَا أَبُو عُثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الزَّعْفَرَانِيُّ، أنا أَبُو عَمْرٍو مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مَطَرٍ، نا إِبْرَاهِيمُ بْنُ شَرِيكٍ، نا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ، نا سَلامُ بْنُ سُلَيْمٍ، نا هَارُونُ بْنُ كَثِيرٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الأَنْفَالِ

---

(١) يُنظر تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا ج٩ صـ ٤٨٨.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل – حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه – حديث رقم (١٧٠٢٣) ج٤ صـ ١٠٧، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

والحديث أخرجه الإمام الطيالسي أيضًا في مسنده – حديث واثلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم – حديث رقم (١٠١٢) صـ ١٣٦.

والإمام الطبراني في المعجم الكبير – حديث رقم (١٨٦) ج٢٢ صـ ٧٥.

(٣) المعجم الكبير – حديث رقم (٣٨٩٢) ج٤ صـ ١٣٠، وحديث رقم (٤٨٢٤) ج٥ صـ ١٢٥، قال الإمام الهيثمي عن كليهما: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٢ صـ ١١٨.

وَبَرَاءَةً فَأَنَا لَهُ شَفِيعٌ وَشَاهِدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ بَرِئٌ مِنَ النِّفَاقِ، وَأُعْطِيَ مِنَ الأَجْرِ بِعَدَدِ كُلِّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ فِي دَارِ الدُّنْيَا عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَمُحِيَ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ وَيُرْفَعُ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ الْعَرْشُ وَحَمَلَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ أَيَّامَ حَيَاتِهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا» " [١].

أغراض السورة:

يقول الإمام الطاهر ابن عاشور: " ابتدأت ببيان أحكام الأنفال وهي الغنائِم وقسمتها ومصارفها.

والأمر بتقوى الله في ذلك وغيره.

والأمر بطاعة الله ورسوله ، في أمر الغنائم وغيرها.

وأمر المسلمين بإصلاح ذات بينهم ، وأن ذلك من مقومات معنى الإيمان الكامل.

وذكر الخروج إلى غزوة بدر وبخوفهم من قوة عددهم وما لقوا فيها من نصر وتأييد من الله ولطفه بهم .

وامتنان الله عليهم بأن جعلهم أقوياء .

ووعدُهم بالنصر والهواية أن اتقوا بالثبات للعدو ، والصبر .

والأمر بالاستعداد لحرب الأعداء .

والأمر باجتماع الكلمة والنهي عن التنازع .

والأمر بأن يكون قصد النصرةِ للدين نصب أعينهم .

ووصف السبب الذي أخرج المسلمين إلى بدر .

---

(١) يُنظر الكشف والبيان عن تفسير القرآن للإمام الثعلبي ج٤ صـ ٣٢٤، والتفسير الوسيط للإمام الواحدي ج٢ صـ ٤٤٣.

والحديث قال عنه الإمام المناوي: أخرجه الثعلبي عن أُبيّ وهو موضوع، الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي ج٢ صـ ٦٢٢.

وذكر مَواقع الجيْشين ، وصفات ما جرى من القتال .

وتذكير النبي (صلى الله عليه وسلم) بنعمة الله عليه إذ أنجاه من مكر المشركين به بمكة وخلصه من عنادهم ، وأن مقامه بمكة كان أماناً لأهلها فلما فارقهم فقد حق عليهم عذاب الدنيا بما اقترفوا من الصدّ عن المسجد الحرام .

ودعوة المشركين للانتهاء عن مناوأة الإسلام وإيذانهم بالقتال .

والتحذير من المنافقين .

وضرب المثل بالأمم الماضية التي عاندت رسل الله ولم يشكروا نعمة لله .

وأحكام العهد بين المسلمين والكفار وما يترتب على نقضهم العهد ، ومتى يحسن السلم .

وأحكام الأسرى .

وأحكام المسلمين الذين تخلفوا في مكة بعد الهجرة . وولايتهم وما يترتب على تلك الولاية" [١].

(١) التحرير والتنوير ج٩ صـ ٢٤٧.

المبحث الثاني: مواضع الإظهار في مقام الإضمار في الربع الأول من سورة الأنفال، وبيان السر فيها.

الموضع الأول: قوله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (**الأنفال**: ١).

هذه الآية تحتوي على موضعين:

الأول: قولـــه تعـــالى ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: قل هي لله والرسول؛ لأنه تقدم ذكرها، لكنه عدل عن ذلك فوضع الاسم الظاهر (الأنفال) موضع الضمير، فقال ﴿ قُلِ ٱلْأَنفَالُ ﴾.

وقبل بيان السر وراء ذلك يجب أن أُبين أولًا معنى كلمة الأنفال، وسبب نزول الآية، ومعناها، ثم أُبين السر وراء هذا الإظهار.

أولًا: معنى كلمة الأنفال:

يقول الإمام ابن فارس: " (نَفَلَ) النُّونُ وَالْفَاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى عَطَاءٍ وَإِعْطَاءٍ. مِنْهُ النَّافِلَةُ: عَطِيَّةُ الطَّوْعِ مِنْ حَيْثُ لَا تَجِبُ. وَمِنْهُ نَافِلَةُ الصَّلَاةِ. وَالنَّوْفَلُ: الرَّجُلُ الْكَثِيرُ الْعَطَاءِ. قَالَ:

يَأْبَى الظُّلَامَةَ مِنْهُ النَّوْفَلُ الزُّفَرُ (١)

(١) البيت لأعشى باهلة، يُنظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للإمام إسماعيل الجوهري ج٢ صـ ٦٧١، والمخصص للإمام أبي الحسن الأندلسي المعروف بابن سيده ج٤ صـ ١٤٦، ومختارات شعراء العرب للإمام ضياء الدين بن علي بن حمزة المعروف بابن الشجري – قصيدة أعشى باهلة – ج١ صـ ١٠، ولسان العرب للإمام ابن منظور – مادة نفل – ج١١ صـ ٦٧٠.

وَمِنَ الْبَابِ النَّفَلُ: الْغُنْمُ. وَالْجَمْعُ أَنْفَالٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الْإِمَامَ يُنَفِّلُ الْمُحَارِبِينَ، أَيْ يُعْطِيهِمْ مَا غَنِمُوهُ. يُقَالُ: نَفَّلْتُكَ: أَعْطَيْتُكَ نَفَلًا. وَقَوْلُهُمْ: انْتَفَلَ مِنَ الشَّيْءِ انْتَفَى مِنْهُ، فَمِنَ الْإِبْدَالِ، وَاللَّامُ بَدَلٌ مِنَ الْيَاءِ. قَالَ الْمُتَلَمِّسُ:

أَمُنْتَفِلًا مِنْ نَصْرِ بُهْثَةَ خِلْتَنِي *** أَلَا إِنَّنِي مِنْهُمْ وَإِنْ كُنْتُ أَيْنَمَا [(١)].

يتضح مما سبق أن الأنفال جمع نفل وهي تطلق في الأصل على **(الزيادة)**، وتختص بالعطية التي لا تجب، وتُطلق أيضًا على الغنيمة؛ حيث إنها زيادة على المقصود من الجهاد، وهو الظفر على الأعداء لإعلاء راية الحق.

ثانيًا: **سبب نزول الآية**:

ورد في سبب نزولها عدة روايات، منها:

(١) ما أخرجه الإمام الترمذي عن مُصْعَبِ بن سَعْدٍ عن أبيه قال: "لَمَّا كان يَوْمُ بَدْرٍ جِئْتُ بِسَيْفٍ فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ قد شَفَى صَدْرِي من الْمُشْرِكِينَ، أو نحو هذا هَبْ لي هذا السَّيْفَ، فقال هذا ليس لي ولا لك، فقلت: عَسَى أَنْ يُعْطَى هذا من لَا يبلى بَلَائِي، فَجَاءَنِي

(١) معجم مقاييس اللغة – مادة نفل – ج٥ صـ ٤٥٥، ٤٥٦ ، ويُنظر أيضًا: العين للإمام الخليل بن أحمد الفراهيدي – باب اللّام والنّون والفاء معهما – ن ف ل – ج٨ صـ ٣٢٥ وما بعدها، وتهذيب اللغة للإمام الأزهري – مادة نفل – ج١٥ صـ ٢٢٥ وما بعدها، ولسان العرب للإمام ابن منظور – مادة نفل – ج١١ صـ٦٧٠ وما بعدها.
والبيت للمتَلَمِّس، من بحر الطويل، يُنظر الأصمعيات للإمام الأصمعي – المتلمس – صـ ٢٤٥، ولسان العرب للإمام ابن منظور – مادة نفل – ج١١ صـ ٦٧٠، و المعجم المفصل في شواهد العربية للدكتور/ إميل بديع يعقوب ج٧ صـ ١٠٢.

الرَّسُولُ فقال: إِنَّكَ سَأَلْتَنِي وليست لي وقد صارت لي وهو لك، قال فَنَزَلَتْ ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ ﴾ الْآيَةَ" (1).

(٢) ما أخرجه الحاكم وأقره الذهبي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر: "من قتل قتيلًا فله كذا وكذا، أما المشيخة فثبتوا تحت الرايات، وأما الشباب فتسارعوا إلى القتل والغنائم، فقالت المشيخة للشبان: أشركونا معكم؛ فإنا كنا ردأ لكم، ولو كان فيكم شيء لجئتم إلينا، فأبوا، فاختصموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فنزلت ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ ﴾، فقسمت الغنائم بينهم بالسوية" (2).

---

(١) سنن الترمذي – كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – باب من سورة الأنفال – حديث رقم (٣٠٧٩) ج٥ صـ ٢٦٨، وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وقد رَوَاهُ سِمَاكُ بن حَرْبٍ عن مُصْعَبٍ أَيْضًا، وفي الْبَاب عن عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ.

والحديث أخرجه الإمام أبو يعلى في مسنده – مسند سعد بن أبي وقاص – حديث رقم (٧٣٥) ج٢ صـ ٨٤.

(٢)المستدرك على الصحيحين – كتاب التفسير – نزول القرآن في ما روي في المسند من القراءات وذكر الصحابة الذين جمعوا القرآن وحفظوه – حديث رقم (٢٨٧٦) ج٢ صـ ٢٤١، وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه. قال الحافظ الذهبي في التلخيص: صحيح.

والحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه – كتاب الصلح – حديث رقم (٥٠٩٣) ج١١ صـ ٤٩٠.

والإمام النسائي في السنن الكبرى – كتاب عمل اليوم والليلة – سورة الأنفال – حديث رقم (١١١٩٧) ج٦ صـ ٣٤٩.

والإمام البيهقي في سننه الكبرى – كتاب قسمة الفيء والغنيمة – جماع أبواب الأنفال – حديث رقم (١٢٥٩٧) ج٦ صـ ٣١٥.

والإمام ابن أبي شيبة في مصنفه – كتاب المغازي – غزوة بدر الكبرى ومتى كانت؟ وأمرها – حديث رقم (٣٦٦٦١) ج٧ صـ ٣٥٤.

وقد لخص الإمام الطبري ما ورد في سبب نزولها مما روي عن السلف فقال: "واختلف في السبب الذي من أجله نزلت هذه الآية، فقال بعضهم: نزلت في غنائم بدر، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان نفَّل أقوامًا على بلاء، فأبلى أقوام، وتخلف آخرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاختلفوا فيها بعد انقضاء الحرب، فأنزل الله هذه الآية على رسوله، يعلمهم أن ما فعل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فماضٍ جائزٌ... وقال آخرون: بل إنما أنزلت هذه الآية؛ لأن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله من المغنم شيئًا قبل قسمتها، فلم يعطه إياه، إذ كان شِرْكًا بين الجيش، فجعل الله جميعَ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ... وقال آخرون: بل نزلت؛ لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا قسمة الغنيمة بينهم يوم بدر، فأعلمهم الله أنّ ذلك لله ولرسوله دونهم، ليس لهم فيه شيء. وقالوا: معنى "عن" في هذا الموضع "من"، وإنما معنى الكلام: يسألونك من الأنفال. وقالوا: قد كان ابن مسعود يقرؤه: "يَسْأَلُونَكَ الأَنْفَالَ" على هذا التأويل" [(١)].

يتضح مما سبق أن الآية نزلت في شأن الغنائم وقسمتها بعد انتهاء غزوة بدر، وما حدث من خلاف بين الصحابة، أو سؤال بعضهم النبي صلى الله عليه وسلم شيئًا منها قبل قسمتها، ويدل ذلك على أن حكمها لم يبين قبل ذلك، وأن هذه الآيات هي التي بينت حكم الغنائم، وهذا يؤيد أن المراد بالأنفال الغنائم.

□

(١) يُنظر تفسير الطبري ج١٣ صـ ٣٦٧ وما بعدها.

ثالثًا: **معنى الآية**:

يقول الإمام الطبري: " اختلف أهل التأويل في معنى "الأنفال" التي ذكرها الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: هي الغنائم، وقالوا: معنى الكلام: يسألك أصحابك يا محمد عن الغنائم التي غنمتها أنت وأصحابك يوم بدر، لمن هي؟ فقل: هي لله ولرسوله ... وقال آخرون: هي أنفال السرايا ... وقال آخرون: "الأنفال": ما شذَّ من المشركين إلى المسلمين، من عَبْد أو دابة، وما أشبه

ذلك ... وقال آخرون: "النفل": الخُمس الذي جعله الله لأهل الخُمُس (١).

قلت: مما يؤيد أن المراد بها الغنائم ما ورد سابقًا في سبب نزول هذه الآية، وتكون هذه الآية قد نزلت أولًا لبيان أن الغنائم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم؛ رفعًا للنزاع والشقاق الذي وقع بين الصحابة فيها، ثم بين الله تعالى بعد ذلك حكم توزيعها في قوله تعالى ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنفال: ٤١).

رابعًا: **السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع**:

يتضح السر في تسمية الغنائم أولًا بالأنفال؛ للتركيز على أنهم لم يصيبوها باجتهادهم، بل بفضل الله – تعالى – وقوته، وأنها جاءتهم زيادة عما طلبوا، وهو النصر على أعدائهم؛ فلذلك أظهر الحق – جل وعلا – هذا الاسم مرة أخرى، ولم يكتف بالضمير؛ للتركيز على هذا المعنى،

(١) يُنظر المرجع السابق ج١٣ صـ ٣٦٠ وما بعدها.

ورفعًا للنزاع والشقاق الذي وقع بينهم في ذلك، وخاصة أن الغنائم أُحلت لهم ولم تحل لأحد قبلهم [١].

الثاني: **قوله تعالى** ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (وأطيعوه ورسوله)؛ لأنه تقدم ذكره، فعدل عن ذلك بوضع الاسم الظاهر (اسم الجلالة) موضع الضمير، فقال ﴿ **وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ** ﴾ **ولعل السر في ذلك** هو تأكيد الأوامر الواردة في الآية من: تقوى الله، وإصلاح ذات البين، وطاعته ورسوله صلى الله عليه وسلم، وحثّهم على الرضا والتسليم لحكم الله – تعالى – في شأن الغنائم؛ لما في ذكر اسم الله – تعالى – من إدخال الروعة وتربية المهابة، ويؤيد ذلك ما ورد في سبب نزول هذه الآية، يُضاف إلى ذلك أن فيه زيادة تعظيم لله عز وجل.

---

(١) ويدل على ذلك ما أخرجه الإمامان: البخاري ومسلم عن جَابِرُ بن عبد اللَّهِ قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أُعْطِيتُ خَمْسًا لم يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ من الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا وَأَيُّمَا رَجُلٍ من أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ وَأُحِلَّتْ لي الْغَنَائِمُ وكان النبي يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إلى الناس كَافَّةً وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ"، صحيح البخاري – كتاب الصلاة – باب قول النبي صلى الله عليه وسلم جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا – حديث رقم (٤٢٧) ج١ صـ ١٦٨، وصحيح مسلم – كتاب المساجد ومواضع الصلاة – حديث رقم (٥٢١) ج١ صـ ٣٧٠.

الموضع الثاني: **قوله تعالى** ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (**الأنفال**: ٢).

حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: وعليه يتوكلون؛ لأنه تقدم ذكره، فعدل عن ذلك بوضع الاسم الظاهر (ربهم) موضع الضمير، وآثر ذكر اسم الرب فقال: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾

المناسبة بين هذه الآية وما قبلها:

يقول الإمام الرازي: "اعلم أنه تعالى لما قال: وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين واقتضى ذلك كون الإيمان مستلزمًا للطاعة، شرح ذلك في هذه الآية مزيد شرح وتفصيل، وبين أن الإيمان لا يحصل إلا عند حصول هذه الطاعات فقال: "إنما المؤمنون الآية" [(١)].

وجاء في التفسير الوسيط: "هذه الآية تحريض على التزام طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أَمر به من قسمة الغنيمة" [(٢)].

فالآية مرتبطة بما قبلها، وهي تفصيل لما أُجمل فيها، وحَثّ على تنفيذ ما فيها من الأوامر التي سبق الإشارة إليها.

□

---

(١) تفسير الرازي ج١٥ صـ ٤٥٠.

(٢) التفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ج٣ صـ ١٥٨٢.

المعنى الإجمالي للآية:

اشتملت هذه الآية والآية بعدها على خمس صفات للمؤمنين [(١)]:

الأُولى: أَنهم إِذا ذُكر الله تعالى، خافت وفزعت قلوبهم، استعظامًا لشَأْنه الجليل وتهيبًا منه.

الثانية: أَنه إذا تليت عليهم آيات الله – تعالى – قَوى إِيمانهم وتصديقهم وتيقنهم بربهم، ونشاطهم في أَعمالهم.

الثالثة: أَنهم على ربهم يتوكلون، فلا يعتمدون على غيره ولا يفوضون أُمورهم لسواه.

الرابعة: إِقامة الصلاة، وإِقامتهم الصلاة: قيامهم بها مستوفية لأَركانها من قيام وركوع وسجود، وقراءَة وذكر، ومحافظتهم على مواقيتها، مع الخشوع لله، والاتعاظ بتلاوة القرآن.

الخامسة: قوله تعالى: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}: أَي ومما أَعطيناهم من الرزق ينفقون في وجوه البر والخير، امتثالًا لأَمر الله عز وجل.

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

إذا نظرنا إلى موضع الإظهار نجده في الصفة الثالثة، وهي التوكل على الله، كما أنه – تعالى – قد آثر فيه اسم (الرب) على ما سواه، ومعناها كما قال الإمام ابن كثير: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ أي لا يرجون سواه

(١) يُنظر تفسير الرازي ج١٥ صـ ٤٥٠ وما بعدها، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ج٣ صـ ١٥٨٢، ١٥٨٣، وتفسير المراغي ج٩ صـ ١٦٤ وما بعدها، وتفسير حدائق الروح والريحان للشيخ/ محمد الأمين الهرري الشافعي ج١٠ صـ ٣٣٤ وما بعدها.

ولا يقصدون إلا إياه ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك، وحده لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب" [١].

ولا شك أن الإظهار هنا أنسب للمقام من الإضمار؛ لأنه موجب لمزيد التوكل عليه تعالى، ولذلك عبر باسم (الرب) الذي يُذكرهم بنعم الله – عز وجل – التي لا تُعد ولا تُحصى؛ ولمزيد من التفنن في الأسلوب بالجمع بين اسميه تعالى (الله – والرب)؛ ليكون ذلك محققًا للغرض الأساس من ذكر هذه الصفات، وهو تقوى الله، وإصلاح ذات البين، وطاعته

ورسوله صلى الله عليه وسلم، وحثهم على الرضا والتسليم لحكم الله – تعالى – في شأن الغنائم، يُضاف إلى ذلك أن فيه من التعظيم لله تعالى، وتربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس المخاطبين.

□

(١) تفسير ابن كثير ج٤ صـ ١٠.

الموضع الثالث: **قوله تعالى** ﴿ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (**الأنفال**: ٧ ـ ٨).

هذا الموضع يحتوي على موضعين:

الأول: **قوله تعالى** ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (ويريد أن يحق الحق بكلماته) بصيغة الإضمار؛ لأنه تقدم ذكره فعدل عن ذلك إلى الإظهار، فقال: ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ ﴾.

معنى الآية: تصور الآية حال المسلمين في غزوة بدر؛ حيث وعدهم الله تعالى أولًا قبل الخروج الظفر بإحدى الطائفتين: (العير ، أو النفير)، مع أنه – سبحانه وتعالى – قد قدر لهم الثانية: (النفير)؛ وذلك حتى يستحثهم على الخروج، وقد كانوا يودّون الأولى: (العير)؛ لسهولتها، وعدم استعدادهم الكافي للأخرى، فبين في هذه الآية أنهم أرادوا شيئًا، وأراد الحق – سبحانه وتعالى – ما فيه الخير لهم ولدينه؛ حتى تكون كلمتة هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى [1].

□

(١) يُنظر تفسير السمعاني ج٢ صـ ٢٤٩، ٢٥٠، والبحر المحيط في التفسير للإمام أبي حيان ج٥ صـ ٢٧٧، وتفسير البيضاوي ج٣ صـ ٥١، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ج٣ صـ ١٥٨٧، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين الهرري ج١٠ صـ ٣٤١، ٣٤٢.

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

مما سبق يتضح أن السر في ذلك يكمن في تقوية وتأكيد ما ركزت عليه الآية من أن الله – تعالى – قد اختار الأفضل لهم ولدينه، وهو (ذات الشوكة)، وفيه وعد لهم بالنصر والظفر على أعدائهم، ولا شكك أن في التصريح باسم الله – تعالى – الأعظم تأكيد على ذلك وطمأنة لهم؛ حتى يلاقوا عدوهم وهم واثقون بنصر الله – عز وجل – لهم، يُضاف إلى ذلك أن فيه من التعظيم لله تعالى، وتربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس المخاطبين.

الثاني: **قوله تعالى ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ ﴾** حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (ليحقه)؛ لأنه تقدم ذكره قبل ذلك، لكنه عدل عن ذلك إلى صيغة الإظهار، فقال: ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ ﴾.

والحق أنه لكي نقول: إن في الآية إظهارًا في مقام الإضمار لابد أن يكون المراد **بالحق** في الجملتين واحد، فقد نص بعض المفسرين على اختلافهما، فالمراد **بالأول**: الوسيلة والسبب وهو ما وعد الله – تعالى – به في هذه الواقعة من النصر والظفر بالأعداء، والمراد **بالثاني**: المقصد والغاية وهو تثبيت دين الإسلام وتقويته وإظهار شريعته، ومحق دين الكفر [1].

فالآية ليس فيها إظهار في مقام الإضمار؛ لأن المراد بالحق في الجملتين مختلف.

---

(١) يُنظر الكشاف للإمام الزمخشري ج٢ صـ٢٠٠، وتفسير الرازي ج١٥ صـ ٤٥٨، وتفسير الشعراوي ج٨ صـ ٤٥٨٥، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج٦ صـ ٤٢.

ولعل السر في التعبير عن كليهما بنفس اللفظ: الدلالة على كلا المعنيين بلفظ واحد، فالسبب يستتبع المقصد والغاية ويكون ذكر السبب ذكرًا للمقصد والغاية بطريقة ضمنية، والعكس صحيح، فيكون في ذلك تقوية وتأكيد للسبب والغاية معًا؛ حيث ذُكرا مرتين: صراحة، وضمنًا، والله – تعالى – أعلى وأعلم.

الموضع الرابع: قوله تعالى ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ١٠﴾ (**الأنفال**: ٩ ـ ١٠).

حيث ذُكر اسم الله – تعالى – في هاتين الآيتين أربع مرات: الأولى باسم الرب (ربكم)، والثلاثة الأُخر باسم الجلالة (الله)، وكان مقتضى الكلام أن تُذكر الثلاثة بصيغة الإضمار، لكنه عدل عن ذلك بوضع الاسم الظاهر موضع المضمر، واختار اسم الجلالة (الله) دون (ربكم) الذي تقدم ذكره، فقال ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾، وقال ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾، وقال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

سبب نزول الآية:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن عُمَرُ بن الْخَطَّابِ قال: "لَمَّا كان يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إلى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثلاثمائة وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: اللهم أَنْجِزْ لي ما وَعَدْتَنِي، اللهم آتِ ما وَعَدْتَنِي، اللهم إن تُهْلِكْ هذه الْعِصَابَةَ من أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ في الأرض، فما زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حتى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عن مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أبو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ على مَنْكِبَيْهِ،

ثُمَّ الْتَزَمَهُ من وَرَائِهِ، وقال: يا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ؛ فإنه سَيُنْجِزُ لك ما وَعَدَكَ فَأَنْزَلَ الله عز وجل ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾، فَأَمَدَّهُ الله بِالْمَلَائِكَةِ، قال أبو زُمَيْلٍ: فَحَدَّثَنِي ابن عَبَّاسٍ قال: بَيْنَمَا رَجُلٌ من الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ في أَثَرِ رَجُلٍ من الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ إِذْ سمع ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يقول: أَقْدِمْ حَيْزُومُ فَنَظَرَ إلى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إليه فإذا هو قد خُطِمَ أَنْفُهُ وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ" (١).

معنى الآية:

يوضح سبب نزول الآية أنها تصف حال النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة – رضوان الله عليهم – حينما وجدوا كثرة عَدَدِ الكفار وعُدَدِهم وقِلَّتهم، فقام النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه، ويتضرع إليه أن ينجز له ما وعده به من النصر، وقال: (تستغيثون) مع أن المستغيث هو النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه كان يعبِّر باستغاثته عمَّا في نفوس المؤمنين، ثم تبين الآية أن الله – تعالى – قد استجاب لنبيه صلى الله عليه وسلم بأن أَمَدّه بألف من الملائكة متتابعين، وقد جعل الله – تعالى – هذا المَدَد بشرى لهم ثبيتًا لقلوبهم، وخُتمت الآية ببيان الحقيقة التي لاتتغيير ولا تتبدل، وهي أن النصر ليس بالعَدَد ولا العتاد، وإنما هو من عند رب العباد، ويؤكد ذلك في ختام الآية ذكرًا اسمين يتناسبان مع المقام: **(العزيز – الحكيم)** (٢).

---

(١) صحيح مسلم – كتاب الجهاد والسير – باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم – حديث رقم (١٧٦٣) ج٣ صـ ١٣٨٣، ١٣٨٤.

(٢) يُنظر بحر العلوم للإمام السمرقندي ج٢ صـ ١٠، وتفسير أبي السعود ج٤ صـ ٧، ٨، وتفسير المراغي ج٩ صـ ١٧٢، ١٧٣، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

لعل السر في ذلك هو التأكيد على ما في الآية من وعود وبشريات، وتقرير ما فيها من حقائق ومعان، **فأولها**: إمدادهم بالملائكة، وجعل ذلك بُشرىً وتثبيتًا لقلوبهم، **وثانيها**: تقرير أن النصر لا يكون إلا من عنده – عز وجل – مهما تفاوت الفريقان، **وثالثها**: ختم الآية بصفتين من صفاته تعالى (العزة، والحكمة) تتوافقان مع المقام، ولا شك أن التعبير باسم الله تعالى (الرب) أولًا المناسب لمقام التربية بالإنعام والفضل، ثم الإظهار في المواضع الثلاثة، والتعبير باسم الجلالة (الله) فيه من البلاغة والجمال، يُضاف إلى ذلك أن فيه من التعظيم لله تعالى، وتربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس المخاطبين.

الموضع الخامس: **قوله تعالى** ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ ﴾ (**الأنفال**: ١٣).

هذا الموضع يحتوي على موضعين:

الأول: في قوله تعالى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (ومن يشاققهما) بصيغة الإضمار؛ لتَقدم ذكرهما، فعدل عن ذلك فأظهرهما، وقال: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾، **والثاني**: في قوله تعالى ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ حيث كان مقتضى الكلام أن يقول: (وأن لهم) بصيغة الإضمار؛ لتَقدم ذكرهم، فعدل عن ذلك فأظهرهم، وقال ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾.

مجمع البحوث الإسلامية ج١٠ صـ ٤١ وما بعده، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج٦ صـ ٤٤ وما بعدها.

معنى الآيتين:

بيين الحق – سبحانه وتعالى – في هذه الآية السبب الذي من أجله استحق هؤلاء الكفار ما حلَّ بهم يوم بدر من: أسر، وتقتيل، وهزيمة منكرة، وهو مخالفتهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومعاداتهم لهما وللمؤمنين، ومحاربتهم لدين الإسلام، وختمت الآية ببيان أن الله – تعالى – شديد العقاب، ثم يبين الحق – جل وعلا – في الآية الثانية أن ما أصاب هؤلاء المشركين – من: الهزيمة، والقتل، والسبي – إنما هو من عذاب الدنيا، وينتظرهم في الآخرة ما هو أشد من ذلك، وهو عذاب النار [1].

ومعنى شاقُّوا: من المشاقة بمعنى المخالفة والمعاداة، مشتقة من الشق– أى الجانب– فكل واحد من المتعاديين أو المتخالفين صار في شق غير شق صاحبه [2].

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

مما سبق يتضح أن السر في ذلك في **الموضع الأول** يكمن في بيان وتعظيم شناعة ما اقترفه هؤلاء المشركين، وتربية المهابة في النفوس حتى لا تقترف ما اقترفوه، وبيان سبب ما حلَّ بهم، وإلى هذا أشار الإمام أبو السعود، فقال: "الإظهار في موضع الإضمار لتربية المهابةِ وإظهار كمالِ شناعة ما اجترءوا عليه والإشعارِ بعلة الحُكم" [3].

---

(١) يُنظر تفسير القاسمي ج٥ صـ ٢٦٥، ، وتفسير المراغي ج٩ صـ ١٧٧، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٣ صـ ١٥٩٤، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين الهرري ج١٠ صـ ٣٥٢.

(٢) التفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج٦ صـ ٥٣.

(٣) تفسير أبي السعود ج٤ صـ ١٠.

وفي الثاني: للزيادة في توبيخهم، وبيان علة الحكم، وإلى هذا أشار الإمام أبو السعود، فقال: "فوضْعُ الظاهرِ موضعَ الضميرِ لتوبيخهم بالكفر وتعليلِ الحُكم به" (١).

يُضاف إلى ذلك أن فيه من التعظيم لله – تعالى – ورسوله صلى الله عليه وسلم، وتربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس المخاطبين.

الموضع السادس: **قوله تعالى** ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ (**الأنفال**: ١٧ ـ ١٨).

حيث ذُكر اسم الله تعالى في هاتين الآيتين أربع مرات، فكان مقتضى الكلام أن يُظهر في الأولى ويُضمر في الباقية، لكنه عدل عن ذلك فأظهره في المواضع الثلاثة كلها، فقال ﴿ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾، وقال ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾، وقال ﴿ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴾.

سبب نزول الآية:

ما أخرجه الإمام الطبراني عن حَكِيمِ بن حِزَامٍ قال: "لَمَّا كان يَوْمُ بَدْرٍ أَمَرَ رسول اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم فَأَخَذَ كَفًّا مِنَ الْحَصْبَاءِ فَاسْتَقْبَلَنَا بِهِ فَرَمَانَا بها، وقال: شَاهَتِ الْوُجُوهُ، فَانْهَزَمْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾" (٢).

---

(١) السابق نفس الجزء صـ ١١.

(٢) المعجم الكبير – حديث رقم (٣١٢٨) ج٣ صـ ٢٠٣، قال الإمام الهيثمي في مجمع الزوائد: إسناده حسن، يُنظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج٦ صـ ٨٤، وقد عقب الدكتور/ مقبل الوادعي على ذلك بقوله: لعل الهيثمي يقصد أنه حسن لغيره، وقد حسَّنه لما له من شواهد ومتابعات، يُنظر الصحيح المسند من أسباب النزول صـ ١٠٠.

معنى الآية:

يُذِّكر الله – تعالى – المسلمين – حال فرحهم بالنصر على المشركين – أن هذا النصر لم يكن بسببهم ولا بقوتهم وشجاعتهم، وإنما من الله – عز وجل – فهو الذي نصرهم بحوله وقوته بأن: خذل المشركين، وقذف في قلوبهم الرعب، وقوى قلوبكم، وأمدكم بالملائكة، ورعاكم وأعانكم على هزيمتهم، ثم يؤكد الكلام ببيان أنَّ رَمْي النبي صلى الله عليه وسلم لوجوه المشركين بالحصباء لم يتسبب – في الحقيقة – بما حلَّ بهم – نتيجة هذا الرمي – من آثار حسية ومعنوية، وإنما رَمْي الله – تعالى – لهم، ثم تبين الآية أن ذلك مَحْض عطاء وتفضل منه تعالى، وأنه لابتلاء واختبار المؤمنين، فالله – تعالى – سميع لأقوالكم ودعائكم، عليم بضمائركم وقلوبكم، ثم يقرر– سبحانه– في الآية الثانية سنة من سننه التي لا تتخلف، وهي تقوية الحق وتوهين الباطل، فيقول: "ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ..." أي: ذلكم كله نِعَم منى إليكم، ويضاف إلى ذلك كله أنّه – سبحانه – مُضْعِف لكيد الكافرين ومُفْسِد لمكرهم بكم [(١)].

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

لعل السر في ذلك هو تقوية وتأكيد المعاني التي تضمنتها الآية الكريمة، وبيان أن المسلمين لم يُنصروا إلا بفضل الله – تعالى – وحده، حتى إن رَمْي النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين بالحصباء – مع مشاهدتهم له – لم يصبهم حقيقة، بل ما أصابهم إلا رَمْي الله – عز

---

(١) يُنظر تفسير أبي السعود ج٤ صد ١٣، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٣ صد ١٥٩٧ وما بعدها، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج٦ صد ٦٤ وما بعدها.

وجل – لهم، وذلك مما يؤيده إظهار اسم الجلالة، يُضاف إلى ذلك أن فيه من التعظيم لله تعالى، وإدخال الروعة وتربية المهابة في نفوس المخاطبين؛ ليعلموا أن كل شيء بأمر الله – تعالى – وتدبيره، ولا مدخل فيه لأحد سواه.

□

المبحث الثالث: مواضع الإظهار في مقام الإضمار في الربع الثاني من سورة الأنفال، وبيان السر فيها.

الموضع الأول: قوله تعالى ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (**الأنفال: ٢٢ ـ ٢٣**).

حيث ذُكر اسم الله – تعالى – في هاتين الآيتين مرتين، فكان مقتضى الكلام أن يُضمر في المرة الثانية؛ اعتمادًا على ذكره أولًا، لكنه أظهره فقال: ﴿ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ ﴾.

المناسبة بين هذه الآية وما قبلها:

يقول الشيخ محمد الأمين الهرري: " إن الله – سبحانه وتعالى – لما أخبر أن هؤلاء المشبه بهم لا يسمعون، أخبر أن شر الحيوان الذي يدب الصُم، أو أن شر البهائم، فجمع بين هؤلاء وبين جمع الدواب، وأخبر أنهم شر الحيوان مطلقًا (١).

معنى الآيتين:

الآية قبلها تأمر المسلمين بطاعة الله – تعالى – ورسوله صلى الله عليه وسلم وتنهاهم عن سلوك طريق الكفار من الإعراض والتولي عن سماع الحق، وهنا شبه الحق – جل وعلا – هؤلاء الكفار بالدواب التي لا تسمع ولا تتكلم بجامع عدم الفهم، وفقدان العقل النافع في كل، فَهُم صُم وبُكم حقيقة، وإن كانوا يسمعون ويتكلمون؛ لأنهم لا يسمعون الحق الذي جاءهم من عند الله – تعالى – سماع تدبر وفهم، ولا يستجيبون له، فلا

---

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج١٠ صـ ٣٦٨.

فرق بينهم وبين الدواب، بل هم أشر منهم؛ حيث أعطاهم الله – تعالى – هذه النعم فلم ينتفعوا بها، وفي الآية التي تليها يبين الحق – جل في علاه – أنه يعلم منهم ذلك، وأنه لا خير فيهم، فلذلك لم يُسمعهم سماع تدبر وفهم، ويؤكد على أنه لو فعل ذلك لتولوا وأعرضوا، ولم يؤمنوا [(١)].

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

بعد بيان المناسبة بين الآيتين وما قبلهما، وبيان معنيهما، يمكن القول: إن السر في الإظهار هنا هو تقوية المعنى المراد، ببيان مدى استحقاقهم للكفر وعقاب الله – تعالى – في الدنيا والآخرة، وذلك لعلمه – تعالى – أزلًا بعدم انتفاعهم بما وهبهم إياه من نِعَم السمع والبصر والفؤاد، وتوظيفها فيما خُلقت له، أضف إلى ذلك ما فيه من تعظيم للحق جل وعلا، وتربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس السامعين؛ بإظهار اسمه الأعظم، مع صفة العلم، حتى يرتدع المشركون، ويخاف غيرهم، والله – تعالى – أعلى وأعلم.

□

(١) يُنظر تفسير السمرقندي ج٢ صـ ١٤، ١٥، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام ابن عطية ج٢ صـ ٥١٣، ٥١٤، وزاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي ج٢ صـ ١٩٨ وما بعدها، وتفسير البيضاوي ج٣ صـ ٥٤، وتفسير القاسمي ج٥ صـ ٢٧٣، ٥٥،٢٧٤.

الموضع الثاني: قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥ ﴾ (**الأنفال**: ٢٤ ـ ٢٥).

حيث ذُكر اسم الله تعالى في هاتين الآيتين ثلاث مرات **الأولى**: مع لفظ الرسول العائد عليه صلى الله عليه وسلم، **والثانية**: وحده خطابًا للمؤمنين، **والثالثة**: وحده في آخر الآية الثانية، وكان مقتضى الكلام أن يُضمر في **الأولى**؛ لتقدم ذكره قبلها، وفي **الثالثة** كذلك؛ لكنه أظهره فيهما، فقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾، وقال﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾، أما **الثانية** فيجب الإظهار؛ لدفع توهم عود الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم.

مناسبة الآيتين لما قبلها:

يقول الشيخ المراغي: "بعد أن ذكر سبحانه وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعدم التولي حين الجهاد، أردفه الأمر بالاستجابة له إذا دعاهم لهدى الدين وأحكامه عامة؛ لما في ذلك من تكميل الفطرة الإنسانية وسعادتها في الدنيا والآخرة" [1].

معنى الآيتين:

أمر الحق – عز وجل – قبل هاتين الآيتين المؤمنين بطاعته ورسوله صلى الله عليه وسلم، ثم أتبعه بأمرهم بالاستجابة لهما، إذا دعاهم رسوله صلى الله عليه وسلم لما يصلحهم من أعمال البر والخير والطاعة؛

---

(١) تفسير المراغي ج٩ صـ ٨٦، ٨٧.

حتى يتوصلوا بها إلى سعادة الدارين، ثم أردف ذلك ببيان أنه وحده الذي بيده قلوب العباد جميعًا يُصرفها كيف شاء، فهو قادر على أن يَفصل بين العبد وقلبه بقدرته ومشيئته، فلا يستطيع العبد أن يدرك شيئًا من إيمان أو كفر، أو أن يَعي به شيئًا، أو أن يفهم إلا بإذنه ومشيئته، وأيضًا قد يحول بينه وبين ما في قلبه مما يرجوه ويتمناه فيدركه الموت قبل ذلك، ثم تُختم الآية ببيان أن الكل سيُحشر إلى الله – تعالى – لمجازاتهم على أفعالهم، وفي الآية حض على الاستجابة، وتهديد ووعيد لمن لم يستجب، أما الآية الثانية فتؤكد على معنى سابقتها، وتزيد في التهديد والوعيد لمن لم يستجب لله – تعالى – ولرسوله صلى الله عليه وسلم؛ حيث تبين أن العقاب لا يشمل الظالمين فقط، بل يعم الجميع، وتُختم الآية بالتأكيد على هذا المعنى ببيان أن عقابه – سواء في الدنيا أو في الآخرة – شديد، وفي ذلك من التهديد والوعيد ما فيه (١).

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

لعل السر في ذلك يكمن في تربية المهابة وإدخال الروعة في قلوب المخاطبين، وتفخيم وتعظيم العقاب الذي توعدهم الله – عز وجل – به إن خالفوا أوامره التي بلغهم بها رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، خاصة أنها تصب في مصلحتهم أولًا، إضافة لما فيه من تعظيم لله تعالى، وذلك كله يتحقق بإظهار اسمه – تعالى – وإيثار ذكر اسمه الأعظم؛ مما يدعم المحور الأساسي الذي تدور حوله الآيات.

---

(١) يُنظر تفسير السمعاني ج٢ صـ ٢٥٧، ٢٥٨، وتفسير ابن عطية: المحرر الوجيز ج٢ صـ ٥١٤ وما بعدها، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٣ صـ ١٦٠٢ وما بعدها، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج٦ صـ ٧٢ وما بعدها.

الموضع الثالث: **قوله تعالى** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ (**الأنفال**: ٢٩).

حيث ذُكر اسم الله – تعالى – في هذه الآية مرتين، فكان مقتضى الكلام أن يُضمر في الثانية؛ اكتفاء بإظهاره أولًا، كما فعل في الجملتين السابقتين عليه، لكنه عدل عن ذلك فأظهره فقال: ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾.

المناسبة بين هذه الآية وما قبلها:

يقول الإمام الرازي: "واعلم أنه – تعالى – لما حذر عن الفتنة بالأموال والأولاد، رغب في التقوى التي توجب ترك الميل والهوى في محبة الأموال والأولاد" [(١)].

وجاء في التفسير الوسيط: "بعد أَن نهى الله المؤمنين عن خيانة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وخيانة الأَمانات، وحذرهم من الفتنة بالأَموال والأَولاد، كلفهم هنا بأَن بتقوه في أَمرهم كله، ووعدهم على ذلك خير الجزاء" [(٢)].

معنى الآية:

نهى الحق – جل جلاله – في الآيتين قبلها المؤمنين عن جميع أنواع الخيانة سواء أكانت لله ورسوله صلى الله عليه وسلم أم لغيرهما، وشدد على ذلك، ثم أردف ذلك بتحذيرهم من فتنة الأموال والأولاد، وبين

---

(١) تفسير الرازي ج١٥ صـ ٤٧٦.

(٢) تأليف مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٣ صـ ١٦٠٩.

أن الأجر العظيم والثواب الجزيل عنده وحده، وسيتحقق إذا امتثلوا ما أُمروا به وتركوا ما نُهوا عنه، وتأكيدًا على هذه المعاني وعدهم الله – تعالى – في هذه الآية – إن حققوا تقواه في نفوسهم بصيانتهم أنفسهم عن كل ما يغضبه وطاعته في السر والعلن – أن يجازيهم بما يلي: **أولا**: يجعل لهم فرقانًا، والفرقان: الفاصل بين شيئين، وقد اختلف فيه المفسرون فقالوا: يجعل لهم مخرجًا، أو نجاة، أو فصلًا وفرقًا بين حقكم وباطل من يبغيكم السوء من أعدائكم، أو هداية ونورًا في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل، أونصرًا يفرق به بين الحق والباطل، أو نجاة في الدارين، أو مخرجًا من الشبهات، أو ظهورًا يشهر أمركم وينشر صيتكم، وأرى – كما ذهب بعض المحققين – أنه لا تعارض بينها، ويمكن تناول اللفظ لها جميعًا، **وثانيًا**: يستر عليهم ذنوبهم في الدنيا فلا يفضحهم، وفي الآخرة فلا يروها ولا يحاسبوا عليها، **وثالثًا**: يغفرها لهم في الآخرة، ثم علل الله – عز وجل – ذلك ببيان أنه وحده صاحب الفضل العظيم [١].

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

لعل السر في ذلك هو تعظيم وتفخيم ما وعدهم الله – عز وجل – به من الجزاء على امتثال أوامره واجتناب نواهية، ببيان أنه لا يقتصر على ما ذُكر، بل يتعداه إلى دفع كل شر، وتحقيق كل خير لهم في الدنيا والآخرة، كما أن فيه من تعظيمًا وتفخيمًا لفضل الله – تبارك وتعالى – الذي لا يتصوره عقل، إضافة لما فيه من تعظيم الله – عز وجل –

(١) يُنظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام البقاعي ج٨ صـ ٢٦٣ وما بعدها، وتفسير القاسمي ج٥ صـ ٢٨٠، ٢٨١، وتفسير المراغي ج٩ صـ ١٩٥ وما بعدها، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج٦ صـ ٨٠ وما بعدها.

وإدخال الروعة وتربية المهابة في نفوس المخاطبين، وفي ذلك تقوية وتأكيد للمراد من هذه الآيات، وداعيًا لتنفيذ ما جاء فيها.

الموضع الرابع: قوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ (**الأنفال**: ٣٠).

حيث ذُكر اسم الله – تعالى – في هذه الآية مرتين، فكان مقتضى الكلام أن يُضمر في الثانية، لكنه عدل عن ذلك فأظهره فقال ﴿ **وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ** ﴾.

مناسبة الآية لما قبلها:

أنه – سبحانه – بعد ما ذكّر المؤمنين في الآيات السابقة بنعمه عليهم، في قوله تعالى ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٦) أردف ذلك بتذكير حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم في هذه الآية بنعمة خاصة به [١].

معنى الآية:

بعد أن ذكَّر الله – عز وجل – المؤمنين بنعمه عليهم – حينما كانوا مستضعفين في مكة – ذكَّرهم وذكَّر حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم بحاله بعد ما علم المشركون ببيعة أهل يثرب له، وعزمه على الهجرة إليهم، وهنا اجتمعوا في دار الندوة، واقترحوا ثلاثة حلول لهذا الأمر،

---

(١) يُنظر تفسير الرازي ج١٥ صـ ٤٧٧، وتفسير القاسمي ج٥ صـ ٢٨١.

أولها: أن يسجنوه ويمنعوه من الدعوة إلى الله تعالى، لكنهم خافوا أن يُنقذه المسلمون من أيديهم، **وثانيها**: أن يُخرجوه من مكة، لكنهم خافوا أن يتقوَّى بأتباعه وينتقم منهم، **وثالثها**: أن يقتلوه، لكنهم خافوا من ثأر قومه: بني عبد مناف، فاقترح أحدهم أن يقتله مجموعة مختارة من كل القبائل، ويضربونه ضربة واحدة، فيتفرق دمه بين القبائل، ولا يستطيع قومه فعل شيء، وهذا ما استقر عليه رأيهم، وتبين الآية أن هذا المَكْر من الشركين قابله مَكْر الله عز وجل، وهنا لا وجه للمقارنة فقد انتصر مَكْر الله – تعالى – عليهم، حين نجَّى نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهاجر سالمًا إلى المدينة، وسينتصر دائمًا وأبدًا، وفي ختام الآية بيان للحقيقة الثابتة: أن الله – تعالى – خير الماكرين فلا يقف أمام مَكْره أيُّ مَكْر [1].

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

لعل السر في ذلك هو تعظيم الله – عز وجل – وإدخال الروعة وتربية المهابة في نفوس السامعين؛ بيان مدى قوة وعِظَم مَكْر الله – عز وجل – الذي لا يُضاهيه أيُّ مَكْر، حتى لو اجتمع عليه أهل السماوات والارض، وكذا بيان عظيم فضل الله – تعالى – على نبيه والمؤمنين، وتبشيرهم بالنصر على عدوهم، وإظهار دين الإسلام، ما داموا في جانب المولى جل جلاله، وأيضًا تخويف المشركين وتهديدهم، وبيان أن مَكْرهم برسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لم ولن يحيق إلا بهم، والله – تعالى – أعلى وأعلم.

---

(١) يُنظر زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي ج٢ صـ ٢٠٤، ٢٠٥، والبحر المديد في تفسير القرآن المجيد للإمام أبي العباس الفاسي ج٢ صـ ٣٢٥، وتفسير الشعراوي ج٤ صـ ٤٦٨٠ وما بعدها.

الموضع الخامس: **قوله تعالى** ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ **(الأنفال: ٣٣ ـ ٣٤)**.

حيث ذُكر اسم الله – تعالى – في هاتين الآيتين ثلاث مرات، وكان مقتضى الكلام أن يُضمر في الثانية والثالثة؛ حيث أُظهر في الأولى، لكنه عدل عن ذلك فأظهره، فقال: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾، وقال: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾.

سبب نزول الآيتين:

أخرج الإمام البخاري عن أَنَسَ بن مَالِكٍ رضي الله عنه قال: "قال أبو جَهْلٍ: اللهم إن كان هذا هو الْحَقَّ من عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً من السَّمَاءِ أو ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ فَنَزَلَتْ ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ الْآيَةَ"[1].

وأخرج الإمام ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أن المشركين كانوا يطوفون بالبيت يقولون: لبيك لا شريك لك لبيك، فيقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "قد قد" فيقولون: لا شريك لك

(١) صحيح البخاري – كتاب التفسير– باب (وَإِذْ قالوا اللهم إن كان هذا هو الْحَقَّ من عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً من السَّمَاءِ أو ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) – حديث رقم (٤٣٧١) ج٤ صـ ١٧٠٤.

والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب التوبة – بَاب في قَوْله تَعَالَى (وما كان الله لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ) الآية – حديث رقم (٢٧٩٦) ج٤ صـ ٢١٥٤.

إلا شريك هو لك تملكه وما ملك، ويقولون: غفرانك فأنزل الله ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ ﴾ إلى قوله ﴿ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ " (١).

معنى الآيتين:

يتضح من سبب نزولهما أن كفار مكة سألوا الله – تعالى – أن يُنزّل عليهم حجارة من السماء أو يأتيهم بعذاب أليم إن كان ما يدعوهم إليه النبي صلى الله عليه وسلم هو الحق من عنده تعالى، وفي ذلك بيان لشدة جحودهم وعنادهم وطغيانهم؛ حيث كان الأَوْلى أن يطلبوا بدل العذاب الهداية، وقد رد الله – تعالى – عليهم ببيان أن سنته تقضي ألا يُعذب قومًا بعذاب الاستئصال ونبيهم بين أظهرهم، كما أنه – تعالى – لن يعذبهم وهم يستغفرون، والمقصود (بهُم): المسلون الذين كانوا بين أظهرهم، أو كفار مكة باعتبار ما سيأتي؛ فسيُسلم بعضهم، ويخرج من أصلابهم من يُسلم، أو المراد لو استغفروا أي: أسلموا لم يُعذَّبوا، وفيه حض لهم على الإسلام، ثم تبين الآية بعدها أنهم يستحقون عذاب الله عز وجل؛ بسبب صدهم المسلمين عن البيت الحرام، مع أن المسلمين أَوْلى بولايته منهم، وكلهم لا يعلم ذلك، أو قليل منهم من يعلم (٢).

□

(١) تفسير الطبري ج١٣ صـ ٥١١، ٥١٢ ، قال الدكتور/ مقبل الوادعي: رجاله رجال الصحيح إلا شيخيهما وهما ثقتان، الصحيح المسند من أسباب النزول صـ ١٠٢.

(٢) يُنظر التفسير البسيط للإمام الواحدي ج١٠ صـ ١٢٣ وما بعدها، والمحرر الوجيز للإمام ابن عطية ج٢ صـ ٥٢١ وما بعدها، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٣ صـ ١٦١٥، ١٦١٦، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج٦ صـ ٨٨ وما بعدها، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين الهرري ج١ صـ ٤١٣ وما بعدها.

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

يُلاحظ - كما سبق - أن اسم الله - تعالى - قد أُظهر في موضعين متتالين، **أولهما**: يفيد نفي عذاب الاستئصال عن كفار مكة، **والثاني**: يفيد بيان إمكانيته واستحقاقهم له، فلعل السر في الإظهار هو بيان عِظَم نعمة الله عليهم بعدم عذابهم، مع استحقاقهم له؛ حتى يراجعوا مواقفهم مع النبي صلى الله عليه وسلم، خاصة أنه صلى الله عليه وسلم سبب من أسباب رفع العذاب عنهم، وهذا يناسب إظهار اسم الجلالة الأعظم، وأيضًا تهويل وتعظيم عذاب الاستئصال الذي طلبوه، وهم في الحقيقة لا يدركون مدى قوته، وكذا حثهم على الإيمان؛ فقد دعوا الله باسمه (اللهم) فأظهر هذا الاسم وجعل العذاب والنجاة إليه وحده، إضافة لما فيه من تعظيم لله - عز وجل - وتربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس السامعين؛ مما يخدم الغرض الأساسي لهاتين الآيتين، والله - تعالى - أعلى وأعلم.

الموضع السادس: **قوله تعالى** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (**الأنفال**: ٣٦ ـ ٣٨).

هذه الآيات تحتوي على موضعين، حيث ذُكر لفظ الذين كفروا ثلاث مرات، فكان مقتضى الكلام أن يُضمر في الثانية والثالثة، خاصة أنه أضمر في أربعة مواضع توسطت الأولى والثانية، وفي موضع توسط

الثانية والثالثة، لكنه عدل عن ذلك فأظهره فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴾، وقال: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾.

مناسبة الآية لما قبلها:

يقول الشيخ محمد الأمين الهرري: "إن الله – سبحانه وتعالى – لما بيّن أحوال هؤلاء المشركين في الطاعات البدنية بقوله: {وَما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكاءً وَتَصْدِيَةً} أردف ذلك بذكر أحوالهم في الطاعات المالية" (١).

معنى الآية:

ذكر العلماء أن الآية الأولى نزلت في يوم بدر في المُطْعمِين، وكانوا اثني عشر رجلًا، يُطعم كل منهم يومًا، يَذبح فيه عشرًا من الإبل، أو في يوم أُحُد في أبي سفيان؛ حين أنفق على الأحابيش وغيرهم أربعين أوقية من الذهب أو نحو ذلك، أو نزلت فيما حدث من المشركين بعد هزيمة بدر؛ حين اجتمعوا وقرروا جَعْل أموال القافلة التي نجت يوم بدر لحرب

الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وعلى كل فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وعموم الآية يدل عليها وعلى غيرها، فالآية تُفيد أن إنفاق الكفار لمحاربة هذا الدين – مهما كثر وعَظُم – فإنه لن يُجديهم نفعًا، بل سيكون وبالًا عليهم في الدنيا والآخرة، فعقابهم في الدنيا التَّحَسُّر على هذه الاموال، والهزيمة على أيدي المسلمين، وفي الآخرة الاستقرار في جهنم بسبب كفرهم وطغيانهم، ثم يبين الحق – جل وعلا – أن ما فعله وسيفعله – من نصر للمؤمنين على الكافرين في الدنيا وفوز

---

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج١٠ صـ ٤٠٦.

المؤمنين بالجنة وخسران الكافرين بدخول جهنم – كي يفرق بين الطيب: (المؤمنين) والخبيث: (الكافرين)، ثم يبين – سبحانه – أن الخبيث – سواء أُريد به فريق الكفار أو الأموال – سيُضم بعضه إلى بعض ويكون مصيره إلى جهنم، وفي ختام الآية يوضح الحق – عز وجل – أن فريق الكافرين هم الخاسرون في الدنيا والآخرة، ثم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستمر في دعوتهم إلى الإسلام والإقلاع عن الكفر والطغيان، وأن يُبشرهم بغفران الذنوب إن أسلموا، ويُنذرهم بتكرار ما وقع بهم إن عاندوا وتكبروا [1].

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

لعل السر في ذلك في **الموضع الأول** هو التنصيص على الوصف الذي من أجله استحقوا دخول النار (الكفر)، وإظهار شناعته؛ حتى يرتدعوا ويتركوا الكفر إلى الإيمان؛ ولتخويف غيرهم من سلوك طريقهم، أو الرجوع إلى الكفر بعد الإيمان، **أما في الثاني** فلإظهار شناعة ما هم عليه من الكفر، وبيان عظيم فضل الله – تعالى – ورحمته عليهم وعلى غيرهم؛ إذ منحهم فرصة للتكفير عمَّا هم فيه، حتى إن كان أبشع الذنوب والمعاصي؛ فلذلك أظهر هذا الوصف المتضمن لهذا الذنب العظيم.

إضافة لما فيه من إهانة وتحقير لهذا الاسم المظهر في كلا الموضعين.

(١) يُنظر تفسير السمرقندي ج٢ صـ ٢٠، ٢١، وأسباب النزول للإمام الواحدي صـ ٢٤٠ وما بعدها، والمحرر الوجيز للإمام ابن عطية ج٢ صـ ٥٢٥، ٥٢٦، وتفسير القاسمي ج٥ صـ ٢٩٠ وما بعدها، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٣ صـ ١٦١٧ وما بعدها.

الموضع السابع: قوله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠ ﴾ (**الأنفال**: ٣٩ ـ ٤٠).

حيث ذُكر اسم الله – تعالى – في هاتين الآيتين ثلاث مرات، فكان مقتضى الكلام أن يُظهر في الأولى ويُضمر في الأُخريين، لكنه عدل عن ذلك فأظهره فيهما، فقال: ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾، وقال: ﴿ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ ﴾.

معنى الآيتين:

بعد أن دعا الحق – جل وعلا – المشركين فيما سبق إلى ترك الكفر والدخول في الإسلام وحضَّهم على ذلك بوعدهم غفران ذنوبهم ووعيدهم – إن لم يستجيبوا – بالهزيمة ودخول النار، وجه في هاتين الآيتين الخطاب إلى المسلمين آمرًا إياهم بقتال المشركين؛ حتى يكون الناس أحرارًا في عقائدهم، لا يُكره أحد أحدًا على ترك عقيدته، ولا يُؤذي ويُعذب لأجلها، كما قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، والمسلمون إنما يقاتلون لحرية دينهم، ولا يكرهون عليه أحدًا؛ ولأجل نشر هذا الدين أيضًا وإعلاء كلمة الله – تعالى – بكسر الحواجز التي تمنع الناس من الدخول في دين الله عز وجل، وتُختم الآية ببيان أن الله – تعالى – بصير بالجميع؛ حيث قُرِيء بالياء والتاء في ﴿ **يَعۡمَلُونَ** ﴾[1]،

(١) القراءتان متواترتان، قرأ بالتاء رويس عن يعقوب الحضرمي، وبالياء باقي القراء، يُنظر النشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزري ج٢ صـ ٢٧٦، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للإمام الدمياطي صـ ٢٩٨.

والمعنى إن تابوا وأنابوا وتركوا الشرك إلى الإسلام ثبتهم الله – تعالى – على توبتهم وأثابهم عليها، وأثابكم أيضًا على بَذْلِكم أنفسكم وأموالكم في سبيله والدعوة إليه، ثم تُبشر الآية بعدها المسلمين بالنصر والظفر علي المشركين إن لم يستجيبوا لدعوة الحق وتمادوا في كفرهم وطغيانهم (١).

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذا الموضع:

لعل السر في **الموضع الأول:** الزيادة في حضِّ المشركين على الإيمان، والمسلمين على مواصلة الجهاد لنشر دين الله عز وجل؛ بإظهار اسم الله الأعظم مع صفة البصر، **وفي الثاني**: الزيادة في طمأنة المسلمين بإخبارهم أن الله – تعالى – يقف جانبهم، وهو مولاهم وناصرهم على أعدائهم إن استمروا في طغيانهم وعنادهم، وفيه حثّ للمسلمين على المُضي قدمًا في طريق الدعوة إلى الله تعالى، كما أن في ذلك مزيدًا من الإنذار والتخويف للمشركين؛ حتى يرتدعوا، ويتركوا الكفر ويقبلوا على الإسلام، إضافة لما فيه من تعظيم لله – عز وجل – وتربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس السامعين؛ مما يحقق غرض الآيتين.

(١) يُنظر تفسير الزمخشري ج٢ صـ ٢٢٠، وتفسير البيضاوي ج٣ صـ ٥٩، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٣ صـ ١٦٢٠، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج٦ صـ ٩٧، ٩٨، وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين الهرري ج١٠ صـ ٤٢١.

المبحث الرابع: مواضع الإظهار في مقام الإضمار في الربع الثالث من سورة الأنفال، وبيان السر فيها.

الموضع الأول: قوله تعالى ﴿ إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾ (**الأنفال: ٤٢ ـ ٤٤**).

حيث ذُكر اسم الجلالة (الله) ست مرات في هذه الآيات، فكان مقتضى الكلام أن يُظهر في الأولى ويُضمر في الباقي، لكنه عدل عن ذلك فأظهره فيها.

معنى الآيات:

يُذكر الحق – سبحانه وتعالى – نبيه صلى الله عليه وسلم والمسلمين بفضله ومنِّه عليهم يوم بدر؛ فقد نزلوا بالجانب القريب من المدينة ونزل المشركون بالجانب البعيد، والعير التي خرجوا لملاقاتها بمكان أسفل منهم على بعد ثلاثة أميال، ويبين الحق – جل في علاه – أنهم لو تواعدوا للحرب لتَهَيّب كل فريق من الآخر فلم يحدث اللقاء، لكن إرادة الله – تعالى – قضت أن يحدث ذلك؛ حتى يكون سببًا في إحقاق الحق وإبطال الباطل، وحتى يهلك من هلك من الكفار عن حجة وبينة واضحة، ويعيش من يعيش من المؤمنين عن حجة شاهدها وعاينها، ثم

يُذيّل الله – تعالى – الآية بما يُرَغّب في الإيمان ويُرَهّب من الكفر ببيان أنه سميع عليم بكفر الكافرين وإيمان المؤمنين، لا يخفى عليه شيء من أقوالهم وأفعالهم، ثم يبين الحق – جل وعلا – في الآيتين بعدها نعمة أخرى، وهي ما حدث حينما رأي النبي صلى الله عليه وسلم المشركين قبل الغزوة في منامه قليلًا، وذلك يحتمل العَدَد أو القوة؛ حتى يُخبر أصحابه فلا يهابوا لقاءهم، ولا يختلفوا ويتنازعوا، ثم أتبعه بأن أَرَى المسلمين قلتهم حال المعركة؛ حتى لا يَضْعفوا ولا يهابوهم، وفي نفس الوقت أَرَى المشركين قلة المسلمين قبل المعركة، وكثرتهم أثناءها؛ حتى يكون ذلك من عوامل النصر الذي أراده الله – تعالى – لهذه الفئة القليلة؛ ليتحقق الغرض من الغزوة، وهو إحقاق الحق وإبطال الباطل، وإظهار دين الله عزوجل [(١)].

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذه الآيات:

مما سبق يتضح أن سياق الآيات يدور في مقام الامتنان وبيان عظيم فضل الله– تعالى – على نبيه صلى الله عليه وسلم والمسلمين؛ حيث نصرهم – مع قلة عَدَدهم وعُدَدهم – على مشركي قريش، ولا شك أن الإظهار هنا أنسب للمقام من الإضمار، ولذلك آثر – سبحانه وتعالى – أن يذكر اسمه الأعظم دون غيره من الأسماء؛ لما فيه من مزيد تفخيم وتعظيم هذه النعم؛ مما يستدعي مزيدًا من الشكر عليها، إضافة لما فيه من مزيد تعظيم الله – عز وجل – وإدخال الروعة، وتربية المهابة في نفوس السامعين؛ مما يساعد في تحقيق مقاصد الآيات.

---

(١) يُنظر زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي ج٢ صـ ٢١٣ وما بعدها، وتفسير المراغي ج١٠ صـ ٦ وما بعدها، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج٦ صـ ١٠٥ وما بعدها وتفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين الهرري ج١١ صـ ١٣ وما بعدها.

الموضع الثاني: قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٤٧﴾ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٤٩﴾ ﴾ (**الأنفال: ٤٥ ـ ٤٩**).

حيث ذُكر اسم الله – تعالى – في هذه الآيات تسع مرات، وكان مقتضى الكلام أن يُضمر في المواضع: **الخامس**، **والسابع**، **والتاسع**، لكنه عدل عن ذلك فأظهره فيها، فقال ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴾، وقال ﴿ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾، وقال ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾، أما **باقي المواضع** فيتعين الإظهار، إما ليُعطف عليه (ورسوله) كما في **الموضع الثاني**، وإما لئلا يتوهم عود الضمير لغير الله تعالى، كما في **بقية المواضع**.

معنى الآيات:

يأمر الحق – سبحانه وتعالى – المؤمنين في هذه الآيات بالثبات عند ملاقاة العدو في الحرب، والإكثار من ذكره في هذا الموطن؛ حتى يتحقق لهم النصر والظَفَر على أعدائهم، كما يأمرهم بطاعته، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ويحذرهم من الاختلاف المؤدي إلى الفشل

والضعف وذهاب دولتهم وظهور عدوهم عليهم، ثم ينهاهم الحق – جل في علاه – بعد ذلك عن التَشَبّه بالكافرين الذين صدهم الشيطان عن السبيل الحق، فخرجوا من مكة غرورًا وتظاهرًا بالشجاعة والحمية صادِّين عن سبيل الله، ثم ذُيلت الآية ببيان أنه – تعالى – مُحيط بكل ما يعملونه، صَغيره وكَبيره، وهو مجازيهم وغيرهم، المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، ثم يُذكِّر الحق – سبحانه – المؤمنين بما قام به الشيطان من تحريض جنوده من الكافرين على حربكم؛ حيث منَّاهم بالنصر عليكم، وهذا التزيين يُحتمل أن يكون حسيًا أو معنويًا، وبهما قال المفسرون، لكن الشيطان حينما تراءت الفئتان ورأى ما أمدكم الله به من الملائكة ولَّى مدبرًا، وقال للكافرين: إني بريء منكم؛ فقد رأيت ما لم تروا من تأييد الله – تعالى – للمؤمنين، وإني أخاف أن يعذبني الله – تعالى – قبل يوم القيامة، ثم تُختم الآية ببيان أنه – تعالى – شديد العقاب لمن عصاه وأعرض عن ذكره واتّباع هداه، وهذا الكلام يُحتمل أن يكون حكاية لبقية كلام الشيطان أو مستأنف، ثم تُصور الآية الأخيرة حال المنافقين حينما كانوا يرمون المسلمين بالغرور والكبرياء، لكن الله – عز وجل – رد كيهم في نحرهم، ونصر أولياءه على أعدائه؛ وذلك لأنهم توكلوا على الله – عز وجل – العزيز الذي لا يُغلب، الحكيم في كل أفعاله وتصرفاته [1].

□

(١) يُنظر تفسير السمرقندي ج٢ صـ ٢٤ وما بعدها، وتفسير الزمخشري ج٢ صـ ٢٢٦ وما بعدها، وتفسير ابن عطية: المحرر الوجيز ج٢ صـ ٥٣٥ وما بعدها، وتفسير البيضاوي ج٣ صـ ٦١ وما بعدها، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج٦ صـ ١١٢ وما بعدها.

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذه الآيات:

لعل السر في **الخامس** المبالغة في تهديد الكافرين وطمأنة المسلمين وتحذيرهم من سلوك طريق الكافرين؛ عن طريق تأكيد إحاطة الله – تعالى – بكل شيء؛ مما يستتبع مجازاته للجميع، **وأما في السابع** فلتعظيم السبب الذي من أجله نكص الشيطان على عقبيه، وترك أتباعه من المشركين وفرَّ هاربًا أمام الحق وأهله، وفي ذلك تهديد ووعيد شديد للكافرين ببيان أنه لن يغني عنهم أحد من الله شيئًا، وفيه طمأنة كبيرة لأهل الحق ببيان أنه – تعالى – معهم، وناصرهم، **وفي التاسع** لتعظيم وتفخيم سبب نصر الله – تعالى – لحزبه على حزب الشيطان، وهو صدق التوكل على الله – عز وجل – الذي يقابله النصر دائمًا في الدنيا والآخرة؛ لأنه تعالى العزيز الغالب الذي لا يقهر، الحكيم في كل أفعاله وتصرفاته، إضافة لما في هذه المواضع من تعظيم الله – عز وجل – وإدخال الروعة وتربية المهابة في نفوس السامعين؛ حتى يتحقق المقصود من الآيات.

الموضع الثالث: قوله تعالى ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ (**الأنفال**: ٥٢ ـ ٥٤).

حيث ذُكر اسم الله – تعالى – في هذه الآيات ست مرات، فكان مقتضى الكلام أن يُظهر في الأول ويُضمر في الباقي، لكنه عدل عن ذلك فأظهره فيها كلها، وقد جاء في كل المواضع باسم الله الأعظم (الله) إلا الموضع الأخير فباسم (الرب).

□

معنى الآيات:

يبين الحق – جل وعلا – في هذه الآيات أن شأن مشركي مكة – في استمرارهم على كفرهم بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وتكذيبهم بالدلائل على قدرته ووحدانيته – شأن قوم فرعون والأمم السابقة، الذين أخذهم بسبب ذنوبهم وكفرهم وعنادهم، وأكد هذا المعنى ببيان أنه – تعالى – غالب لا يغلبه أحد، شديد العقاب لمن خرج عن طاعته وأصر على كفره وعناده، ثم بين – سبحانه وتعالى – سنته في خلقه، وهي أن ما يحل بهم من عذاب دنيوي أو أخروي إنما يكون بسببهم أنفسهم؛ لأنهم بدَّلوا وغيروا نِعَم الله عليهم، فغيرها الله – تعالى – عذابًا بعد أن كانت نعيمًا، ثم يشبه مشركي مكة – في تكذيبهم بنعم الله وعدم وفائهم بحقوقها – بقوم فرعون والأمم السابقة، ويبين أن عاقبتهم الهلاك والعذاب، ويؤكد هذا المعنى بتقرير أنه – تعالى – يسمع ويعلم كل شيء سواء أكان ظَاهرًا أم خَفيًا، **والدأب الأول**: فى بيان كفرهم بجحد ما قامت عليه أدلة الرسل عليهم الصلاة والسلام من وحدانية الله ووجوب إفراده بالعبادة، وقد استحقوا به تعذيب الله إياهم في الآخرة، فهو دأب وعادة فيما يتعلق بحقه – تعالى – من حيث ذاته وصفاته، وفى الجزاء الدائم على الكفر به الذي يبتديء بالموت وينتهى بدخول النار، **والدأب الثاني**: فى تكذيبهم بآيات ربهم ونعمه من حيث إنه هو المربي لهم، ويدخل فى ذلك تكذيب الرسل عليهم الصلاة والسلام وعنادهم وإيذائهم وكفر النعم المتعلقة ببعثتهم، وقد استحقوا على ذلك تغيير حالهم وعذابهم فى الدنيا [1].

---

(١) يُنظر التفسير الوسيط للإمام الواحدي ج٢ صـ ٤٦٦ وما بعدها، وتفسير السمعاني ج٢ صـ ٢٧٢ وما بعدها، وتفسير البيضاوي ج٣ صـ ٦٣، ٦٤، وتفسير المراغي ج١٠ صـ ١٦ وما بعدها، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٣ صـ ١٦٣٥ وما بعدها.

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذه الآيات:

يتضح مما سبق أن السر في ذلك هو تعظيم الجرم الذي ارتكبه هؤلاء المشركين ومن سبقهم من الأمم التي كذبت أنبياءها عليهم الصلاة والسلام ، والذي بسببه استحقت عقاب الله – عز وجل – وذلك يتضح جليًا **في الموضعين**: **الرابع والسادس** اللذين يتشابهان **مع الموضع الأول**، وإن كان في الأول استعمل اسم الجلالة (الله) لمناسبته لجحودهم الأدلة على وحدانيته – تعالى – وفي السادس اسم (الرب) لمناسبته جحودهم لنعمه تعالى، يُضاف إلى ذلك ما فيها من تعظيم وتهويل ما أصاب الأمم السابقة من عذاب وهلاك جزاء كفرهم وعنادهم، وما فيها من تهديد لمشركي قريش أن يصيبهم مثل ما أصاب من سبقهم، وكذا التأكيد وذلك يتضح جليًا **من المواضع الأخرى**، إضافة لما فيها من تعظيم الله – عز وجل – وإدخال الروعة وتربية المهابة في نفوس السامعين؛ مما يؤيد ما سبق ذكره.

□

المبحث الخامس: مواضع الإظهار في مقام الإضمار في الربع الرابع من سورة الأنفال، وبيان السر فيها.

الموضع الأول: قوله تعالى ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ (**الأنفال: ٦١ ـ ٦٣**).

حيث ذُكر اسم الله – تعالى – في هذه الآيات ثلاث مرات، فكان مقتضى الكلام أن يُضمر فيها؛ لأنه سبق له ذكر قبل ذلك، وقد أُضمر في ثلاثة مواضع متفرقة بعد كل موضع من مواضع الإظهار، لكنه عدل عن ذلك فأظهره فيها كلها.

معنى الآيات:

بعد أن أمر الله – تعالى – نبيه صلى الله عليه وسلم والمسلمين في الآية السابقة بإعداد ما يستطيعونه من أشكال القوة؛ حتى يُرهبوا أعداءهم، أردف ذلك بأمره صلى الله عليه وسلم بالميل إلى المسالمة والمصالحة إذا مال أعداؤه لها، ثم أكد ذلك بأمره بالتوكل عليه سبحانه وتعالى، وألا يخشى مكرهم وكيدهم وغدرهم؛ لأنه – تعالى – هو السميع لأقوالهم، العليم بأحوالهم، والآية عامة وليست منسوخة على الأرجح، ثم شجع نبيه صلى الله عليه وسلم على السير في طريق الصلح حتى لو أراد الأعداء – بإظهار الميل إلى السلم – المخادعة والمراوغة؛ فإنه حسبه وكافيه وناصره عليهم؛ حيث أيده بنصره تعالى بغير واسطة وبواسطة، فقد أيَّده بنصره

وأيَّده بالمؤمنين – بعد أن حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم – فصاروا كالنفس الواحدة، بعد أن كانوا متفرقين متنازعين، ولولا فضل الله – تعالى – وكرمه ما استطاع النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤلف بين قلوبهم حتى لو أنفق ما في الأرض جميعًا، ثم خُتمت الآيات ببيان أنه – تعالى – غالب في ملكه وسلطانه، حكيم في كل أفعاله وتصرفاته [١].

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذه الآيات:

لعل السر في ذلك هو بَثّ روح الطمأنينة في قلوب المسلمين؛ حتى يزداد يقينهم وثقتهم بنصر الله تعالى، وأيضًا بيان عظيم فضل الله – تعالى – على نبيه صلى الله عليه وسلم والمسلمين؛ حين ألَّف بين قلوبهم ووعدهم بالنصر على أعدائهم، ولا شك أن إظهار اسم الجلالة، وإيثار اسم الله – تعالى – الأعظم فيه من ترسيخ وتقوية هذه المعاني ما لا يكون مع إضماره، إضافة لما فيها من تعظيم الله – عز وجل – وإدخال الروعة وتربية المهابة في نفوس السامعين؛ مما يؤيد ما سبق ذكره.

□

(١) يُنظر تفسير السمرقندي ج٢ صـ ٢٩، ٣٠، والنّكت والعيون للإمام الماوردي ج٢ صـ ٧٩ وما بعدها، وتفسير البيضاوي ج٣ صـ ٦٥ وما بعدها، وتفسير الشعرواي ج٨ صـ٤٧٨٣ وما بعدها، والتفسير الوسيط للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي ج٦ صـ ١٤٤ وما بعدها.

الموضع الثاني: قوله تعالى ﴿ ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (**الأنفال**: ٦٦).

حيث ذُكر اسم الله – تعالى – في هذه الآية ثلاث مرات، فكان مقتضى الظاهر أن يُضمر فيها؛ حيث سبق ذكره مظهرًا قبل ذلك، لكنه عدل عن ذلك فأظهره.

معنى الآية:

أمر الله – تعالى – نبيه صلى الله عليه وسلم في الآية التي قبلها بتَحْفيز وتَحْريض المؤمنين على القتال بشتى الطرق، وأخبره أن العشرين الصابرين من المسلمين يستطيعون أن يهزموا مائتين من المشركين؛ لأن المشركين قوم جهلاء بحقوق الله – تعالى – عليهم، يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم، بخلاف المسلمين، مما يستوجب ثبات الواحد للعشرة، وقد كان ذلك أول الأمر حينما كان عدد المسلمين قليلًا، ثم جاء التخفيف في هذه الآية فأمر الله – تعالى – بثبات الواحد للاثنين، وأخبر أن المائة الصابرة من المسلمين يستطيعون أن يتغلبوا على المائتين وكذا الألف على الألفين، ثم خُتمت الآية ببيان أن ذلك يكون وفق مشيئة الله – تعالى – وإرادته، وأنه – تعالى – يقف مع المسلمين الصابرين المتمسكين بدينهم وعقيدتهم [1].

---

(١) يُنظر تفسير الزمخشري ج٢ صـ ٢٣٤، ٢٣٥، وتفسير الرازي ج١٥ صـ ٥٠٥ وما بعدها، والبحر المحيط للإمام أبي حيان ج٥ صـ ٣٤٩٨ وما بعدها، وتفسير القاسمي ج٥ صـ ٣٢٢ وما بعدها، والتفسير الوسيط لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية ج٣ صـ ١٦٤٥ وما بعدها.

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذه الآية:

يتضح مما سبق أن الآية وردت تخفيفًا على هذه الأمة الإسلامية، فالمقام مقام بيان فضل الله – تعالى – وعظيم منّته عليها، ولا شك أن الإظهار أدخل في هذا الباب من الإضمار، إضافة إلى التأكيد على تحقق وعد الله – تعالى – للمسلمين بالنصر على أعدائهم إن التزموا بمنهجه، وصبروا عند لقاء عدوهم، إضافة لما فيه من تعظيم لله عزو جل، وتربية المهابة وإدخال الروعة في نفوس السامعين، مما يتفق مع المقام.

الموضع الثالث: قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ (**الأنفال**: ٦٧ ـ ٧١).

حيث ذُكر اسم الله – تعالى – في هذه الآيات تسع مرات، فكان مقتضى الكلام أن يُظهر في الأولى ويُضمر في الباقي، لكنه عدل عن ذلك فأظهره فيها كلها.

سبب نزول الآيات الثلاث الأول:

أخرج الإمام مسلم عن ابن عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "فلما أَسَرُوا الْأُسَارَى قال رسول اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: ما تَرَوْنَ في هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟ فقال أبو بَكْرٍ: يا نَبِيَّ اللَّهِ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ منهم فِدْيَةً فَتَكُونُ لنا قُوَّةً على الْكُفَّارِ

فَعَسَى الله أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ فقال رسول اللَّهِ ﷺ: ما تَرَى يا ابن الْخَطَّابِ؟ قلت: لَا واللهِ يا رَسُولَ اللَّهِ ما أَرَى الذي رَأَى أبو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا من عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي من فُلَانٍ نَسِيبًا لِعُمَرَ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فإن هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فهوى رسول اللَّهِ ﷺ ما قال أبو بَكْرٍ، ولم يَهْوَ ما قلت، فلما كان من الْغَدِ جِئْتُ فإذا رسول اللَّهِ ﷺ وأبو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي من أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أنت وَصَاحِبُكَ، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لم أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فقال رسول اللَّهِ ﷺ: أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ من أَخْذِهِمْ الْفِدَاءَ، لقد عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى من هذه الشَّجَرَةِ (شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ من نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ)، وَأَنْزَلَ الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ إلى قَوْلِهِ ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ ﴾ الأنفال فَأَحَلَّ الله الْغَنِيمَةَ لهم"[١].

معنى الآيات:

يُعاتب الحق – جل في علاه – نبيه صلى الله عليه وسلم على قبول الفداء في أُسارى بدر من مشركي قريش – موافقة منه لرأي أبي بكر رضي الله عنه – الذي يظهر منه رغبتهم في أموال الفداء، ومخالفته لرأي عمر رضي الله عنه الذي أشار عليه بضرب أعناقهم؛ انتقامًا منهم لما صنعوه بالنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، ثم يبين الحق – تعالى – أن عُذرهم هو عدم ورود أمر منه في هذا الشأن، ثم أباح لهم أن يأخذوا الأموال التي حصلوا عليها من المشركين سواء أكانت أموال الفداء أم هي

(١) جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه – كتاب الجهاد والسير – باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم – حديث رقم (١٧٦٣) ج٣ صـ ١٣٨٥.

والغنائم على خلاف بين المفسرين، ثم يأمر الحق – جل وعلا – نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُبَشّر ويُنْذر هؤلاء المشركين، يُبَشّرهم بأموال خير مما أُخذ منهم ومغفرة ورضوان منه إن تركوا ما هم عليه من كفر وعناد، وآمنوا به وبرسوله صلى الله عليه وسلم، ويُنذرهم بالهزيمة والخسران في الدنيا والآخرة إن استمروا على كفرهم وعنادهم، وفي ذلك بشارة للمسلمين بالنصر، وإعلاء كلمة الله تعال، وإظهار هذا الدين (١).

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذه الآية:

لعل السر في ذلك في **المواضع: الثاني والثالث والرابع**: تعظيم وتهويل قبول الفداء من الأُسارى، وبيان أنه كاد أن سببًا لعذابهم لو أتاهم ما يُبين الواجب عليهم تجاه الأسرى، ولا شك أن إظهار اسم الله – تعالى – فيها أبلغ وأوقع في النفوس من إضماره، **وفي الموضعيين التاليين**: بيان عظيم فضل الله – تعالى – على نبيه صلى الله عليه وسلم والمسلمين؛ حيث عفا عنهم وأحل لهم أموال الفداء، **أما في المواضع الباقية** فإن إظهار اسم الله – تعالى – فيه تأكيد لوعده ووعيده وتَبْشيره وإِنْذاره لهؤلاء المشركين؛ مما يحثّهم على إعادة النظر في الطريق الذي يسيرون فيه، كما أن فيه تأكيد على وعده بالنصر للمسلمين وإعلاء ذلك الدين؛ حتى تطمئن قلوبهم ويثقوا بموعود الله عز وجل، إضافة لما في هذه المواضع من تعظيم الله – عز وجل – وإدخال الروعة وتربية المهابة في نفوس السامعين؛ حتى يتحقق المقصود من الآيات.

(١) يُنظر المحرر الوجيز للإمام ابن عطية ج٢ صـ ٥٥١ وما بعدها، وتفسير الرازي ج١٥ صـ ٥٠٧ وما بعدها، والتسهيل لعلوم التنزيل للإمام ابن جزي الكلبي صـ ٣٢٩، وتفسير النيسابوري ج٣ صـ ٤١٨ وما بعدها، وتفسير المراغي ج١٠ صـ ٣٥ وما بعدها.

الموضع الرابع: **قوله تعالى** ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ (**الأنفال**: ٧٥).

حيث ذُكر اسم الله – تعالى – في هذه الآية مرتين، فكان مقتضى الكلام أن يُظهر في الأولى ويُضمر في الثانية، لكنه عدل عن ذلك فأظهره، فقال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾.

معنى الآية:

بين الحق – عز وجل – في الآيات السابقة فضل المهاجرين والأنصار، ووجوب موالاة بعضهم بعضًا، ونهى عن موالاة الكافرين، وقد استثنى – سبحانه وتعالى – من وجوب الموالاة المسلمين الذين لم يُهاجروا، ثم رغبهم في الهجرة في هذه الآية؛ فبين أنهم بعد هجرتهم سيصيرون ضمن المهاجرين والأنصار في الأحكام السابقة، ثم أتبع ذلك ببيان أن أُولي الأرحام أَوْلى ببعض في كل شيء، من: بر، وصدقة، ونصر، وميراث ... إلخ، وتُختم الآية والسورة ببيان أن الله – تعالى – قد أحاط بكل شيء علمًا، فلا يَعْزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، فلذلك شرع لعباده في هذه السورة أحكامًا متعددة، وهو أعلم وأدرى بما يَصْلح ويُصلح عباده في الدنيا والآخرة، مصداقًا لقوله تعالى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾ (الملك: ١٤) [(١)].

(١) يُنظر درج الدرر في تفسير الآي والسور للإمام عبد القاهر الجرجاني ج١ صـ ٧٤٥، والمحرر الوجيز للإمام ابن عطية ج٢ صـ ٥٥٦، ٥٥٧، وزاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي ج٢ صـ ٢٢٩، والتسهيل لعلوم التنزيل للإمام ابن جزي الكلبي

السر في الإظهار في مقام الإضمار في هذه الآية:

يتضح مما سبق أن السر في ذلك هو تأكيد ما سبق في هذه السورة من أحكام؛ ببيان أنها لم تصدر إلا من عالم خبير محيط بكل شيء، إضافة لما فيه من تعظيم الله – عز وجل – وإدخال الروعة وتربية المهابة في نفوس السامعين؛ حتى يتحقق المقصود من الآيات، ولا شك أن إظهار اسم الله – تعالى – الأعظم في هذا المقام أَوْلى من إضماره؛ لما يترتب عليه من مزيد حَضّ المخاطبين على امتثال هذه الأحكام والأوامر الإلهية.

□

صـ ٣٢٩، ٣٣٠، وتفسير المراغي ج١٠ صـ ٤٤ وما بعدها.

الخاتمة

بعد أن طُفت في رحاب هذا الموضوع الشيِّق، وقطفت من أزهاره اليانعة، سواء بالدراسة النظرية أو التطبيقية، أستطيع أن أخلص إلى **النتائج الآتية**:

الأولى: أن موضوع الإظهار في مقام الإضمار من الأهمية بمكان، ودراسته مما يُظهر مظهرًا من مظاهر إعجاز القرآن الكريم.

الثانية: أنه – في حدود علمي القاصر – لم تتم دراسة هذا الموضوع دراسة تطبيقية على جميع سور القرآن الكريم.

الثالثة: أن أئمتنا من العلماء والمفسرين قد عنوا بهذا اللون، لكن لم يتناولوا جميع مواضعه في القرآن الكريم – على حد علمي – بل في الغالب أشاروا إلى بعضها.

الرابعة: أن غالب أسرار الإظهار في مقام الإضمار تتعلق بسياق الآية أو الآيات موضع الإظهار، وتتعلق أيضًا بالاسم المظهر.

الخامسة: أن أغلب المواضع التي تناولتها في الدراسة التطبيقية لسورة الأنفال تتعلق بإظهار اسم الله – تعالى، **والحكمة في ذلك**: زيادة تعظيم الله – عز وجل – وإدخال الروعة وتربية المهابة في نفوس السامعين؛ إضافة لما فيه من أسرار تتجلى في مواطنها.

ولذلك فإني أقترح أن يُقام مشروع لدراسة هذا الموضوع، ويُقسم على عدد من الباحثين حسب المواضع، ويقوموا بعمل دراسة تطبيقية شاملة لمواضعه من أول القرآن إلى آخره.

كما أقترح أن يُعنى الباحثون بمثل هذه الموضوعات البلاغية التي تبرز وجوه إعجاز القرآن الكريم.

□

المصادر والمراجع

١ ـ **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، للإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطيّ، الشهير بالبناء (المتوفى: ١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م – ١٤٢٧ هـ.

٢ ـ **الإتقان في علوم القرآن**، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤ م.

٣ ـ **أساليب بلاغية**، **الفصاحة ـ البلاغة ـ المعاني**، لأحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، وكالة المطبوعات – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٠ م.

٤ ـ **أسباب النزول**، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

٥ ـ **الأصمعيات**، للإمام الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (المتوفى: ٢١٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون، دار المعارف – مصر، الطبعة: السابعة، ١٩٩٣م.

٦ ـ **الإيضاح في علوم البلاغة**، للإمام أبي المعالي محمد بن عبد الرحمن بن عمر جلال الدين القزويني الشافعي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت ، الطبعة: الثالثة.

٧ ـ **البحر المحيط في التفسير**، للإمام أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٨ ـ **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، للإمام أبي العباس أحمد بن محمد ابن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: الدكتور/ أحمد عبد الله القرشي رسلان، حسن عباس زكي – القاهرة، ١٤١٩ هـ.

٩ ـ **البرهان في علوم القرآن**، للإمام أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ- ١٩٥٧ م.

١٠ ـ **البلاغة العربية**، للدكتور/ عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ), (دار القلم – دمشق)، (الدار الشامية – بيروت)، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.

١١ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**، للإمام أبي الفيض محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية.

١٢ ـ **التحرير والتنوير**، للإمام محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

١٣ ـ **التسهيل لعلوم التنزيل**، للإمام أبي القاسم، محمد بن أحمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (المتوفى: ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور/ عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.

١٤ ـ **التفسير البسيط**، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين بجامعة الإمام محمد بن سعود، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ.

١٥ ـ **تفسير البغوي** (**معالم التنزيل في تفسير القرآن**)، للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

١٦ ـ **تفسير البيضاوي** (**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**)، للإمام ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.

١٧ ـ **تفسير الثعالبي** (**الجواهر الحسان في تفسير القرآن**)، للإمام أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: ٨٧٥هـ)، تحقيق: محمد علي معوض – عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

١٨ ـ **تفسير الثعلبي** (**الكشف والبيان عن تفسير القرآن**)، للإمام أبي إسحاق أحمد ابن محمد بن إبراهيم الثعلبي(المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: أبي محمد ابن عاشور، ومراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.

١٩ ـ **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، للشيخ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور/ هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

٢٠ ـ **تفسير الخازن** (**لباب التأويل في معاني التنزيل**)، للإمام أبي الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي المعروف بالخازن (المتوفى: ١٣٤١ هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت.

٢١ ـ **تفسير الرازي** (**مفاتيح الغيب** = **التفسير الكبير**)، للإمام أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ.

٢٢ ـ **تفسير الزمخشري** (**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**)، للإمام أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق مهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٣ ـ **تفسير أبي السعود** (**إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**)، للإمام أبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٤ ـ **تفسير السمرقندي** (**بحر العلوم**)، للإمام أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم السمرقندي (المتوفى ٣٧٣ هـ).

٢٥ ـ **تفسير السمعاني** (**تفسير القرآن**)، للإمام أبي المظفر منصور بن محمد ابن عبد الجبار بن أحمد المروزى السمعاني التميمي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م.

٢٦ ـ **تفسير الشعراوي** (**الخواطر**)، للإمام محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.

٢٧ ـ **تفسير الشوكاني** (**فتح القدير**)، للإمام محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.

٢٨ ـ **تفسير الطبري** (**جامع البيان في تأويل القرآن**)، للإمام أبي جعفر محمد ابن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٢٩ ـ **تفسير ابن عطية** (**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**)، للإمام أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٣٠ ـ **تفسير القاسمي** (**محاسن التأويل**)، للإمام محمد جمال الدين بن محمد سعيد ابن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.

٣١ ـ **التفسير القرآني للقرآن**، للشيخ عبد الكريم بن يونس الخطيب (المتوفى: ١٣٩٠ هـ)، دار الفكر العربي – القاهرة.

٣٢ ـ **تفسير ابن كثير** (**تفسير القرآن العظيم**)، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ.

٣٣ ـ **تفسير الماوردي** (**النكت والعيون**)، للإمام أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٤ ـ **تفسير المراغي**، للشيخ/ أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م.

٣٥ ـ **التفسير المظهري**، للإمام ثناء الله محمد المظهري، تحقيق: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية – باكستان، ١٤١٢ هـ.

٣٦ ـ **تفسير المنار** (**تفسير القرآن الحكيم**)، للشيخ محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى:١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٣٧ ـ **تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)**، للإمام نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ.

٣٨ ـ **التفسير الوسيط (الوسيط في تفسير القرآن المجيد)**، للإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، والدكتور/ أحمد محمد صيرة، والدكتور/ أحمد عبد الغني الجمل، والدكتور/ عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٣٩ ـ **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، لمجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.

٤٠ ـ **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، للإمام الأكبر الدكتور/ محمد سيد طنطاوي (المتوفى: ١٤٣١هـ)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى.

٤١ ـ **تهذيب اللغة**، للإمام أبي منصور محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٤٢ ـ **خصائص التراكيب (دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني)**، للدكتور/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة: السابعة.

٤٣ ـ **دَرْج الدُّرر في تفسير الآيِ والسور**، للإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ابن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ).

٤٤ ـ **ديوان الهذليين، للشعراء الهذليين**، ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي، الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة، ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥ م.

٤٥ ـ **روح البيان**، للشيخ أبي الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي, (المتوفى: ١١٢٧هـ)، دار الفكر – بيروت.

٤٦ ـ **زاد المسير في علم التفسير**، للإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٤٧ ـ **سنن البيهقي الكبرى**، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي (المتوفى: ٤٥٨)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م.

٤٨ ـ **سنن الترمذي**، للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي (المتوفى: ٢٧٩ هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي– بيروت.

٤٩ ـ **سنن أبي داود**، للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (المتوفى: ٢٧٥ هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

٥٠ ـ **السنن الكبرى**، للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (المتوفى: ٣٠٣ هـ)، تحقيق: الدكتور/ عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

٥١ ـ **شرح شواهد المغني**، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١ هـ)، وقف على طبعه وعلق حواشيه: أحمد ظافر كوجان، ومذيل بتعليقات: الشيخ محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي، لجنة التراث العربي، ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م.

٥٢ ـ **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، للإمام أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٥٣ ـ **صحيح البخاري**، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (المتوفى: ٢٥٦ هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، واليمامة – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٥٤ ـ **صحيح ابن حبان**، للإمام أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (المتوفى: ٣٥٤ هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية.

٥٥ ـ **صحيح مسلم**، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث– بيروت.

٥٦ ـ **الصحيح المسند من أسباب النزول**، للدكتور مقبل بن هادي بن قائدة الهمداني الوادعي (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٧م.

٥٧ ـ **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، للإمام أبي حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي، بهاء الدين السبكي (المتوفى: ٧٧٣ هـ)، تحقيق: الدكتور/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

٥٨ ـ **علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع»**، للشيخ/ أحمد مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ).

٥٩ ـ **العين**، للإمام أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) تحقيق: الدكتور/ مهدي المخزومي، والدكتور/ إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٦٠ ـ **الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي**، للإمام زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (المتوفى : ١٠٣١هـ)، تحقيق: أحمد مجتبى، دار العاصمة – الرياض.

٦١ ـ **القاموس المحيط**، للإمام أبي طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: التراث بمؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٦٢ ـ **لسان العرب**، للإمام أبي الفضل محمد بن مكرم بن على جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ.

٦٣ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، للإمام علي بن أبي بكر الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧ هـ)، دار الريان للتراث – القاهرة، دار الكتاب العربي – بيروت.

٦٤ ـ **مختارات شعراء العرب**، للإمام ضياء الدين أبي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري (المتوفى: ٥٤٢هـ)، ضبطها وشرحها: محمود حسن زناتي، مطبعة الاعتماد– مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٤٤ هـ – ١٩٢٥ م.

٦٥ ـ **مختار الصحاح**، للإمام أبي عبد الله زين الدين محمد بن أبي بكر ابن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – بيروت)، (الدار النموذجية – صيدا)، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م.

٦٦ ـ **المخصص**، للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

٦٧ ـ **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ–١٩٩٠م.

٦٨ ـ **المسند**، للإمام أبى عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة – القاهرة.

٦٩ ـ **مسند الطيالسى**، للإمام سليمان بن داود الفارسي البصري، دار المعرفة – بيروت.

٧٠ ـ **مسند عبد بن حميد**، للإمام أبى محمد عبد بن حميد بن نصر الكسي، تحقيق: صبحي البدري السامرائي، ومحمود محمد خليل الصعيدي، مكتبة السنة – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م.

٧١ ـ **مسند أبى يعلى**، للإمام أبي يعلى أحمد بن على بن المثنى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م.

٧٢ ـ **المصنف**، للإمام أبى بكر عبد الله بن محمد الكوفي أبى شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٧٣ ـ **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، للإمام أبي الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد العباسي (المتوفى: ٩٦٣هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب – بيروت.

٧٤ ـ **المعجم المفصل في شواهد العربية**، للدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٧٥ ـ **معجم مقاييس اللغة**، للإمام أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٧٦ ـ **المعجم الكبير**، للإمام أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (المتوفى: ٣٦٠ هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء – الموصل، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٣ م.

٧٧ ـ **مفتاح العلوم**، للإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ–١٩٨٧م.

٧٨ ـ **النشر في القراءات العشر**، للإمام أبي الخير شمس الدين محمد بن محمد ابن يوسف الجزري (المتوفى: ٨٣٣ هـ)، تصحيح ومراجعة: الشيخ/ علي محمد الضباع، دار الفكر – بيروت.

٧٩ ـ **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، للإمام إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥ هـ)، دار الكتاب الإسلامي– القاهرة.